جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

# بلاغة غريب الوصف
## في أمالي أبي علي القالي تـ٣٥٦هـ

إعداد

**د/ شيماء عبد الرحيم توفيق محمد**

أستاذ البلاغة والنقد المساعد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بنات القاهرة

( العدد السابع والثلاثون )
( الإصدار الأول .. فبراير )
( ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م )

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

# بلاغة غريب الوصف في أمالي أبي علي القالي ت٣٥٦هـ

**شيماء عبد الرحيم توفيق محمد**

**قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة، جامعة الأزهر، مصر.**

**البريد الإلكتروني: shaimaaTawfik2573.el@azhar.edu.eg**

**الملخص:**

الغريب في كل عصر غريب، جديد بعيد، مدهش طريف، تنتابه موجات الهجوم والصد ولكنه بمرور الوقت يصبح مألوفا مطروقا، ولكن غريب اللغة مهاجَم منزو في جنبات المعجمات ودواوين الشعر وكتب الأدب، متنح عن الاستعمال، يستنكف الشعراء وعلماء اللغة عن استعماله توقيا للنقد بالغموض وحب الإغراب، ألف القالي عديدا من التصانيف في اللغة أشهرها "الأمالي"، وهو كتاب أملاه يحوي مختارات من نوادر الأخبار والأشعار وغامضها، وغرائب اللغة والقرآن الكريم والحديث الشريف والأمثال، أكثر فيه من تفسير ما جاء من غريب الوصف تفسيرا لغويا، في نماذج بعينها، كوصف النساء والأبناء والأزواج والبيت والحيوان؛ ولذا هدفت هذه الدراسة التي جاءت بعنوان "بلاغة غريب الوصف في أمالي أبي علي القالي ت٣٥٦هـ " إلى كشف المكنون وراء إيراد الواصف للغريب وتكراره في وصفه، وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي الذي يتمثل في التحليل اللغوي للكلم الغريب: تحليل مبانيه ومعانيه وجماليته، والمنهج النفسي الذي يعنى بالنظر من سطح النص إلى عمقه النفسي؛ لكشف وتفسير ما خفي من تأثير الكلام في نفس المتلقي وربطه بعوامل وأسباب نفسية، وربط ما اصطنعه منشئ القول بهذه العوامل والأسباب.

ومن أهم النتائج التي توصل البحث إليها: يأتي الغريب لتكثير الصفة، والمبالغة فيها مدحا، وقد يأتي لستر المقصود لكونه لا يصح التصريح به، فهو تعويض عما لم تبن عنه كلم اللغة، ولم يفصح عنه الوصف.

– دراسة الغريب تحاول الكشف والتنقيب وكشف الغطاء عن محجوب مقنّع خفيّ، ليس داخل عقل الواصف ووجدانه فقط، ولكن داخل اللغة نفسها، قد يضع الغريب عوائق في عملية التلقي أو حدودا معرفية وحواجز بين الماضي والحاضر.

**الكلمات المفتاحية:** أمالى، بلاغة، غريب، القالي، الوصف.

# "Strange Description's Eloquence" in the hopes of Ali Al-Qali (356 AH).

**Shaima Abdel Rahim Tawfiq Muhammad**
**Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Cairo Girls, Al-Azhar University, Egypt.**
**Email: shaimaaTawfik2573.el@azhar.edu.eg**

**Abstract:**
In every era, what is strange is strange, new is far away, and amazing is amusing. It is subjected to waves of attack and defense, but over time it becomes familiar and worn out. However, a strange language is an isolated attacker in the corners of dictionaries, poetry collections, and literature books. It is avoided from use, and poets and linguists refrain from using it in anticipation of criticism due to its mysteriousness and love of strangeness. Al-Qalī has authored numerous works in the Arabic language, the most famous being "Al-Amālī," a book containing selections of rare news, poems, linguistic marvels, the Holy Quran, the noble Hadith, and proverbs. It provides extensive linguistic interpretations of peculiar descriptions, particularly in the portrayal of women, children, spouses, households, and animals. The aim of the study titled "The Rhetoric of Peculiar Descriptions in Al-Qalī's Al-Amālī (d. 356 AH)" is to uncover the hidden meanings behind the inclusion and repetition of peculiar descriptions. The research adopted a descriptive approach, which involves linguistic analysis of the unfamiliar word: analyzing its structures, meanings, and aesthetic aspects, and a psychological approach that examines the text from its surface to its psychological depth, in order to uncover and interpret the hidden impact of the words on the recipient's psyche, and to link what the speaker has constructed with these psychological factors and causes. One of the most important findings of the research is that the unfamiliar word

may come to enhance the attribute, exaggerate it as a form of praise, or it may come to conceal the intended meaning because it is not appropriate to express it. It serves as a substitute for what the language did not provide a term for, and what the description did not reveal. The study of the unfamiliar word attempts to uncover and explore, to reveal the cover of a hidden, convincing, and concealed entity, not only within the mind and conscience of the describer, but also within the language itself. It may pose obstacles to the process of reception or impose cognitive boundaries and barriers between the past and the present.

**keywords**: Amali, Rhetoric, Strange, Al-Qali, Description.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**مقدمة**

فطرت النفوس على المبالغة والاستقصاء إذا طلب منها الوصف، فتعمد إلى الألفاظ الفخيمة، وصيغ المبالغة، والجموع، وتتابع الأوصاف واطرادها خاصة إذا كان الموصوف له صلة بالواصف كأن يكون ابنا له، أو شيئا يملتكه فيميل إلى جمع صفات الجودة والحسن، – فالوصف لغة: الحلية– لينم عن ذوق رفيع، واختيار واع، ونظر ثاقب إلى الجزئيات والتفصيلات.

ولا يستطيع الواصف أن يحكي صفات الشيء إلا إذا رآه جهرة أو متخيلا ببصيرته؛ ولذلك ينقل الواصف صفات الشيء الحسية ثم المعنوية، ويتحكم في ذلك نوع الموصوف، فالوصف في الشعر الغزلي سبيل إلى إفراغ الشعراء ما يكون من شوق وصبابة، وفي المدح والرثاء إظهار عظيم المكانة والفضل، وفي الهجاء سبّ وقذع بأخس الصفات حسية ومعنوية.

ولا يخلو أدب من وصف، وقد اختار(القالي) في أماليه غريب ما قيل في الوصف، وهي ظاهرة حريّة أن يقف الناظر أمامها متسائلا: كيف يوصف الشيء ليُكشف عنه ويظهر ثم تجد الغريب في ألفاظ وصفه؟ أليس هذا تناقضا؟ آلغرابة في الكلام صفة مدح أم ذم؟ وهل تخصيص الغريب بما جاء في الوصف يجعله فصيحا بناء على أن الوصف حلية وتزيين؟ وما السر البلاغي من إيراد الغريب وصفا؟ وما معيار الغرابة؟ وسببها؟ وما الفائدة من إيراد هذه النماذج؟

**أهمية البحث:**

تهدف الدراسة إلى كشف المكنون وراء إيراد المتكلم للغريب وتكراره في وصفه.

**خطة البحث:**

اقتضت خطة البحث أن يقسم إلى: ملخص، ومقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، ثم الخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

**منهج البحث:**

اعتمد البحث المنهج الوصفي الذي يتمثل في التحليل اللغوي للكلم الغريب: تحليل مبانيه ومعانيه وجماليته: أي دراسته من الجوانب المعجمية والصرفية والنحوية والصوتية والدلالية والبلاغية والجمالية[1]، يبدأ من اللغة وينتهي إليها، ثم تحليل الخصائص المميزة لما استعمل فيه الغريب من مواقف وملابسات وسياقات، وإحلال النص الواضح – ذهنيا– محل النص الغريب للسماح بفهم مناخ الغرابة الذي يستثيره النص، والبحث في دواوين الشعر عن المعاني التي وردت فيها المفردة الغريبة دون الاكتفاء بمعجمات اللغة.

والمنهج النفسي الذي يعنى بالنظر من سطح النص إلى عمقه النفسي؛ لكشف وتفسير ما خفي من تأثير الكلام في نفس المتلقي وربطه بعوامل وأسباب نفسية، وربط ما اصطنعه منشئ القول بهذه العوامل والأسباب، وتحليل الخصائص التي عملت على وجود الغريب في الوصف، وارتباطه بوجهات النظر المختلفة التي يتبناها الواصف فيما يتعلق بعملية الوصف وصولا للأسباب التي هيأت للخصائص والأسرار البيانية أن تحدث في نفس المتلقي، ومعرفة البواعث النفسية التي وجهت الوصف بالغريب ونسجته تبعًا للانفعالات التي يحيكها اللاوعي الإنساني.

هذا ولم يعثر البحث على دراسة بلاغية في أمالي القالي اللهم إلا دراسات لغوية مثل:

– جهود أبي علي القالي البغدادي في التفسير اللغوي لآيات القرآن الكريم دراسة بحثية منهجية للآيات التي عرض لتفسيرها أبو علي القالي البغدادي في

(١) هذا لا يمكن الإلمام به إلماما تاما في بحث واحد.

كتاب الأمالي، محمد بن إبراهيم بن فاضل المشهداني، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة ٢٠١١.

- تحليل الخطاب في كتاب الأمالي لأبي علي القالي (ت:٣٥٦)، دراسة لغوية.الباحثة: سهية عيد لافي البقمي. العدد الأول، المجلد٢، مجلة العلوم اللغوية والآداب٢٠٢٣م- السعودية.
- الجهد النقدي في أمالي القالي، ثائر عبد الزهرة لازم شباري المياحي، المجلد ٣٩، العدد ٣ (٣٠ سبتمبر/أيلول ٢٠١٤)، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة كلية التربية للعلوم الإنسانية-العراق.

## تمهيد

## ما الغرابة؟

**الغريب لغة:** تدور مادة (غ رب) حول: الترك والاعتزال والوحشة، والغياب والنوى، والبُعد والنفي، والطرافة والجدة، والتباعد، والوحدة والتفرد، وعدم التكرار والشيوع، وعدم القرار في مكان، والمفارقة أو الابتعاد عن الطبعي المألوف المعهود، والغموض، والستر والتورية، وعدم معرفة الشيء والجهل به، والصعوبة والحزونة، والحدة، والمبالغة والإكثار، والتَّمادي ومجاوزة القدر، والعِظم(١)، والابتداع بإيجاد ما لم يسبق إلى مثله، والذي يقل تداوله.

والغريب في كتب النقد له شقان: الأول: غريب محمود مستطرف –كأبيات المعاني– يوصف به العلماء والشعراء المجيدين فيقال عنهم:( أصحاب غريب)، والثاني: غريب مستوحش متكلف معيب؛ لمخالفته ما تتكلم به العرب(٢)، وغموض معانيه وخفاؤها واستتارها، فتحوج العالم المبرز إلى التنقيب عنها

(١) لسان العرب. مادة ( غ ر ب).

(٢) استنبطت هذا المعنى من هذا الخبر: "حدَّثني بعض أهل العلم، قال: قال شيخ من الملوك لعبد الله بن المُقفَّع: إن ابني فلاناً يتكلم بكلامٍ لا نعرفه، فأُحبّ أن تجالسه، فإن كان كلامه هذا من غريب كلام العرب، فهو على حالٍ لم تخرج من هذه اللغة، وإن كان شيئاً يبتدعه عالجناه بالتقويم. فأتاه ابن المقفَّع، فسمعه يقول: يا غلامي أسرجْ لي برْذوني الأسود. فقال: قل، أصلحك الله: البرذون الأدهم، وإيَّاك أن تقول: الأسود. قال: لا أقول إلاّ الأسود؛ لم؟ لأنه ليس بأسود؟ قال: بلى هو أسود، ولكن لا يقال له أسود. قال: فمكث ساعةً، ثم قال: يا غلام أسرجْ لي حماري الأدهم. قال: قلت: لا تقل للحمار: أدهم، إنما يقال له: أسود. قال: فقال لي: لم يقال له أسود؟ قلت: لأنه أسود. قال: قد نهيتني أن أقول: برذونٌ أسود، وهو أسود. قال: قلت له: هكذا تقول العرب." رسائل الجاحظ. أبو عثمان عمرو بن بحر بالجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون،٢/ ٣٣٠، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.

والتنقير؛ لأنه ليس من فطرة الأدباء وطبيعتهم ولا من آدابهم، فهو تكلف؛ والمعيار المحكوم به هو عدم الفهم، فما لم يعرفه علماء اللغة الذين يعتد بهم يترك، وهذا ما أرشد إليه أبو الأسود الدؤلي عندما سأل غلام عن معنى كلمة قالها ".. قال: حرف من الغريب لم يبلغك. قال أبو الأسود: يا بُنيَّ كل كلمة لا يعرفها عمّك فاسترها كما تستر السنور جعرها"(١)، والغريب غاية رواة الأشعار(٢)؛ ليؤثر عنهم، وينبيء عن حذقهم وبراعتهم بالرواية لما لا يُعرف، والكلام العربي: مروي معروف، وغريب منقول "معظم هذه اللغة مضبوط مرويّ، وجُلّ الغريب محفوظ منقول"(٣) فالغريب ما سُمع فحُفظ ونُقل كما سمع، وهو قليل بدليل كونه محفوظا، فلا يحفظ إلا ما كان محصورا معروفا، والمروي(المعروف) يضاد الغريب، فإذا روي الغريب وذاع كان قريبا معروفا.

والوحشية عيب من العيوب المخلة بالفصاحة، وذلك لثلاثة أسباب: الأول: لفظي(صوتي): وهو نفرة السمع عن الكلمة؛ لخشونتها وغرابتها، والثاني: شكلي: وهو الإتيان بالكلمة مع ما لا يلائم شكلها، وهو باب وسيع في العربية، يمكن أن يدخل تحته الاشتقاق بأنواعه، وبناء صيغ المفردات(علم الصرف)، والرقم الخطي للكلمات، وتجانسها خطا، والمحسنات البديعية اللفظية، وعلم العروض، والثالث: معنوي: وهو وقوع الكلمة في غير موقعها(٤).

(١) ينظر البيان والتبيين. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام هارون،٢٦١/١، ط١، مكتبة ابن سينا ٢٠١٠م.

(٢) السابق نفسه ١٤/٤.

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه. للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزير الجرجاني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، ص٢٤، المكتبة العصرية صيدا. بيروت١٤٣١هـ -٢٠١٠م.

(٤) ينظر الوساطة بين المتنبي وخصومه ٢٦٥/٢ وما بعدها.

والوحشي والحوشي قريبان يستعملان بمعنى واحد؛ لأن المعاجم اللغوية فسرت الحُوشي: بالوحشي والغريب المشكل منه[١]، فالوحشي: أن تكون الكلمة غير مأنوسة الاستعمال، ولا مألوفة، غير دائرة في محاورات الناس، مشكلة عليهم، وبناء على ذلك فإن الغريب نوعان: الأول: فصيح، غير مشكل كما ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة، وهو عزيز طريف، دقيق، يحتاج إلى تفتيش في معاجم اللغة، يعرفه المهرة الحفاظ الثقات، فقد كان ابن مسعود –رضي الله تعالى عنه– يفسر غريب القرآن الكريم من الشعر، فهو جديد غريب على أسماع الناس؛ لقلة دورانه عليها، وقلة معرفتهم باللغة، وهو ما ينبغي أن يتردد على أسماع الناس للارتقاء بلغتهم، وهو كما قال ذو الرمة:

**وشِعْرٍ قَدْ أَرِقْتُ لَهُ غَرِيبٍ ... أُجَنِّبُهُ المَسَانِدَ والمُحَالا**

**فَبِتُّ أُقَيِّمُهُ وَأَقُدُّ مِنْه..... قَوَافِي لا أَرِيدُ لَهَا مِثَالا**

الغريب هنا صفة مدح أي: بديع وطريف، خال من عيوب القوافي(السناد) والإحالة بالتناقض، والخطأ، والحذف، والثاني: غريب مشكل: يخترعه بعض الناس أحيانا للتندر، وإبراز المقدرة اللغوية على التشقيق والتفريع والتوليد، والتلاعب بالألفاظ بإيرادها على زنة واحدة، ويكون بعضها ليس له معنى أو مهمل، وهو يدخل في باب (الإلغاز).

وللغريب البعيد تعظيم وتبجيل، واستطراف واستلطاف "وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا بكد، ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه كزة غليظة، وجاسية غريبة"[٢] استعملت الكزازة والغلظة والجسو

(١) لسان العرب. مادة (ح و ش).

(٢) كتاب الصناعتين. أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ص٦٠، المكتبة العصرية ١٤٢٥هـ. ٢٠٠٤م.

في غير الجواهر، فاستعيرت للألفاظ، فما معيار الكزازة[١] والجسو[٢] والغلظة والغرابة؟ هو وصف للألفاظ بأثرها في النفس، فالكزازة والجسو والجلف تدور معانيها حول الصلابة، والشدة، والانقباض، والجفاء، والتيبس، والصعوبة، والقسوة، والحزونة، والغموض، وقلة النفع، والخشونة، والتكلف، ومضادة الطبع، وصعوبة الدرك، وبُعد التناول، وهي معان إن تحققت في كلام نبا عن الإبانة وجفا، وبعد عن الفصاحة " فاصطلح أهل البلاغة على نبذها [ألفاظ الغريب]، وترك استعمالها في مرسل الكلام، واستَثْقَلوا الطويل. وهذا يدلك على أن البلاغة لا تعبأ بالغرابة ولا تعمل بها شيئًا"[٣] وهذا فيما يختص بأنفس الكلم المفرد وذاته، أما ما يرجع إلى المعاني والصور فالغرابة صفة مدح للكلام للطف المعنى وخفائه، ومقياسها قوة تأثر النفس وانفعالها بالمسموع أو المكتوب، والتبعة هنا ملقاة على صنعة الشاعر وحذقه واقتداره "وشدة تحيله في إيقاع الدلسة للنفس في الكلام"[٤]، كما في الصور المستطرفة البديعة في الاستعارة الخاصية، والمعاني العُقم المبتدعة البعيدة عن التواطؤ والتشابه، الغائبة عن حدق العيون، الشاردة عن تمثلها الظنون، الطليقة عن تخييل صورتها النفوس، البطيئة عن التوارد إلى

(١) الكزازة: القبح، والصلابة الشديدة، وقلة الخير، والبخل، واليبس، والانقباض، والاعوجاج، والضيق. لسان العرب. مادة (ك ز ز).

(٢) الجسو: الضيق، والصلابة، واليبس، والجمود، والكزازة. السابق نفسه. مادة (ج س ا).

(٣) بيان إعجاز القرآن. مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، ص٣٧، ط٥، ذخائر العرب(١٦)، دار المعارف٢٠٠٨م.

(٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء. حازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، ص٧٢، ط٣، دار الغرب الإسلامي. بيروت١٩٨٦م.

الخاطر، تتبدى فى الوهم بعد فلي وتذكر، وتحتاج إلى روية وفكر وتأمل واستنباط .

**الغرابة والتعقيد**: التعقيد ما صعب استخراج معناه؛ للإخلال بأوضاع التركيب، كالخطأ في الإعراب، وتقديم ما حقه التأخير لغير فائدة، والإخلال بالمعاني والإحالة والاضطراب والتناقض، والغموض، أما الغرابة فهي كون اللفظ غير ظاهر الدلالة على المعنى الموضوع له.

**ما الوصف؟**

**الوصف لغة:** تحلية الشيء، والصفة: الأمارة اللازمة للشيء[١]، وعلى هذا فهناك فرق بين الوصف والصفة، فالوصف مصدر يدل على جنس الفعل، أي: أي نوع من الوصف، سواء استعمل الوصف في اللازم أم غير اللازم من المحبوب أو المكروه، قليله وكثيره، حسي ومعنوي، والصفة مصدر لنوع من الجنس(اسم هيئة) لبيان هيئة الموصوف أو الفاعل، فإذا أطلقت الصفة أريد بها صفة حسنة لازمة للموصوف، لا تفارقه حتى تصير حالة له، والصفات تجري على المعاني والشيء الذي يوجد بالموصوف، أما الوصف فيجري على القول، فالصفة أخص من الوصف[٢].

والوصف اصطلاحا: ذكر الشيء بما فيه، وإيضاح حقائقه وحاله وهيئته بعيدا عن تأثرات النفوس وانفعالاتها إذا كان وصفا موضوعيا، وهذا لا يمكن أن يتحقق في الفن القولي؛ لأن الأدب مادة شديدة الرهافة، والشعر يأبى أن يُعزَل عن العاطفة ووصف الأحوال المحركة إلى القول، وأحوال المتحركين لها.

والواصف يُعرِّف بالموصوف، ويتأنق في ذكر صفاته، فيحرص على أن يسرّ الناس بدلا من أن يعلمهم الحقيقة، وينحو بالموصوف نحو المثالية وما ينبغي أن يكون تقوية للسمات الفاضلة وإرضاء للمتلقي، والناقد يحاول أن يتعرف على أسس تفضيل المتلقي للسارّ من الأدب والجميل منه، وتفضيل أنماط

---

(١) ينظر مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام هارون، مادة (و ص ف)، دار الفكر للطباعة والنشر. د. ت، ولسان العرب. ابن منظور. تح: عبدالله الكبير، ومحمد أحمد حسب، مادة (و ص ف)، دار المعارف. د.ت.

(٢) ينظر(مصدر النوع). شرح المفصل. أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، تقديم: د.إميل بديع يعقوب، ٧٠/٤، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م، والفروق اللغوية ص ٣١ .

بعينها، فيجد أن التفضيل الجمالي ذاتي انفعالي مزاجي، تثيره عناصر كثيرة مثل: المباغتة والإدهاش، والجدة، والغموض، ومن هنا ابتعدت لغة الوصف عن المألوف إلى المأنوف، بخلق صورة للموصوف تنحرف عن الشائع والمعروف، صورة حرة قوالبها من صنع قائلها، فيشعر الناقد/المتلقي بنوع من الاغتراب في اللغة؛ لتوالي سلسلة من الهزات والخلخلات المعرفية التي تحدث فجوات في تبيين المعاني وفهمها؛ لاختيار المنشئ عن وعي ما يوفي غرضه بلغة ترتفع عن اللغة المألوفة إلى لغة أدبية فصيحة(غريبة)[١]، وقد انحصر ما جاء من تفسير (القالي) للغة فئة بعينها وهي (الأعراب) في نماذج معدودة في غرض الوصف، وهي لغة فئة خاصة قليلة العدد منعزلة عن سائر فئات المجتمع؛ ولذلك اتسمت لغة وصفهم بسمة مميزة لها، وهي الغرابة.

**بين الوصف والنعت:**

النعت لما يتغير من الصفات، والوصف لما يتغير وما لا يتغير، فهو أعم من النعت، والنعت فيه مبالغة، وهو ما يظهر من الصفات ويشتهر[٢]، وكلاهما وصف للشيء بحليته، يعمد فيهما إلى التحلية، والتحسين، والتزيين والتجويد؛ ولذلك عندما تُحكَى صفات شيء فإنما تُذكر محاسنه[٣] " كل قاصد

(١) يقصد بالغريب هنا المحمود الذي لم يبتذل باستعماله وشيوعه وتكراره على المسامع والأفهام.

(٢) النعت: كل شيء كان بالغا، أي: جيدا، وهو: وصف الشيءِ بما فيه إلى الحسن مذهبُه، والوصف: وصفك الشيء بحليته ونعته، العين. مادة (ن ع ت)، ومادة (و ص ف). ينظر الفروق اللغوية. أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، ص٣٠، دار العلم والثقافة. د. ت.

(٣) عرف قدامة بن جعفر التكافؤ: أن يصف الشاعر شيئا أو يذمه، والتكافؤ تقابل، فالوصف هنا يعني: المدح، وذكر الذم في مقابله. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، ص١٤٧، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

لشيء...فإنما يقصد الطرف الأجود"[١]، وعندما تكلم (قدامة) عن أجناس الشعر الثمانية التي استنبطها من ائتلاف عناصر الشعر مع بعضها ذكر أن لها صفات تمدح بها وسماها نعوتا، وأحوالا تعاب من أجلها، وجعل النعوت مقابلة للعيوب[٢]، ولم يجمع المدح والذم تحت مسمى واحد، فيعمهما، أو يطلق عليهما وصفا.

فالمؤلفات التي تعنون بـ(الصفات) غرضها إزالة الجهالة عن الموصوف، وذكر ما يليق به، والترغيب فيه بذكر محاسنه مثل: الكتب التي تتحدث عن صفات الله تعالى كـ(النعوت والأسماء والصفات) للنسائي، و(الأسماء والصفات) للبيهقي، و(الصفات) للداراقطني، فهي كتب تذكر أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته، وترد على من اعتقد لله تعالى وصفا لا يليق بكماله وجلاله، وكتاب مثل:(كشف الكربة في وصف أهل الغربة) لابن رجب الحنبلي: بيان لمحاسن الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، وكتاب(الرصف لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من الفعل والوصف) للعاقولي، وكتاب (صفة النبي صلى الله عليه وسلم وصفة أخلاقه وسيرته وأدبه وخفض جناحه) لأبي علي الأنصاري الدمشقي؛ لتحقيق محبته صلى الله عليه وسلم في القلوب بذكر جميل صفاته، وكتاب(صفة الصفوة) لابن الجوزي دواء للنفوس بذكر صفة الصالحين والأخيار، و(البديع في وصف الربيع) للحميري، يصف محاسن الربيع، و(كشف الحال في وصف الخال) للصفدي، يصف محاسن الخال، و(صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق اللئيم) للسيوطي، لذكر صفات أولي الألباب، وأضدادهم الحائدين عن الصواب...وغيرها.

(١) السابق نفسه ص٦٤.

(٢) ينظر السابق نفسه ص ٧٠ وما بعدها.

**الإصابة في الوصف**: إن معرفة الصواب مرشد وموجه إلى معرفة الخطأ، فالضد يظهره بضده ويعرف منه، والخطأ في الوصف هو خطأ في المعاني، وإن كانت اللغة تؤخذ عن الأعراب إلا أنهم لم يعصموا عن الخطأ في المعاني "وليس الأعرابيّ بقدوة إلّا في الجر والنصب والرفع وفي الأسماء، وأمّا غير ذلك فقد يخطئ فيه ويصيب"(١)، وإذا كان الأعرابي يخطئ فأهل الحاضرة بالخطأ أولى، ومن الأخطاء التي رصدتها كتب النقد: إجراء الصفة على غير موصوفها مثل: وصف الأنثى بصفة الذكر أو العكس، أو مخالفة الصفات المعروفة والمشهورة في المدح، أو وصف الأشياء المجهولة، أو الأشياء التي لم يسبق رؤيتها ومعاينتها، أو العدول عما جرت عليه عادة العرب في الوصف، أو الغلو بالإفراط في الصفة المحمودة حتى تقترب من الطرف المذموم(٢)، أو كان الوصف غير مطابق للموصوف، أو التقصير في جمع أوصاف الفضائل خاصة في غرض المدح "يجود المديح..كلما أغرق في أوصاف الفضيلة، وأتى بجميع خواصها أو أكثرها"(٣)، ويكون ضده تقصيرا في غرض الهجاء، فكلما أغرق الأديب في جمع أوصاف الرذائل كان هجاؤه ألذع وأقذع وأصوب، ومن الإصابة في نعت الرثاء ذكر غبطة ما كان يمتلكه المرثي من متاع وحيوان بموته؛ لاستراحته من الكد والعناء مع ذكر المدح بالفضائل النفسية(٤)، والتشبيه من الأغراض التي يلجأ إليها الوصافون؛ لبيان حال أو مقدار أو إمكان أو تزيين أو تقبيح أو قياس

(١) الحيوان. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ٣٣١/٢، ط٢، دار الكتب العلمية . بيروت١٤٢٤هـ.

(٢) نقد الشعر ص ٩٩.

(٣) السابق نفسه ص ١٠٦.

(٤) ينظر السابق نفسه ص ١١٨: ١٢٠.

أو مقارنة فالإصابة فيه أن يشترك طرفي التشبيه في أكثر الصفات، فإذا قلَّت ضعفت المشابهة، وأخطئ في الوصف.

ومنها: جهل الأديب بما يصفه، وعدم الإحاطة بجملته، فيأتي به على غير حقيقته، وقد يجهل أجزاء الشيء الموصوف ودقائقه، ومعرفة أحواله وصفاته؛ لقلة ملابسته فيخطئ في وصفه، وقد يضع الشيء في غير موضعه لثقة أو خطأ أو سهو أو غفلة أو كلال(١)، وقد يغرق في المبالغة فتعكس عليه مقصده فيما كان القصد أولى به، وقد يحيل المعنى فيفسده بالتناقض والاضطراب والاستحالة والإخلال، والحشو غير المفيد، وفساد التقسيم والمقابلات، والتقصير عن تمام المعنى، وإيقاع الممتنع موقع الممكن والجائز، واستخدام المحال الذي لا يكون، والتعمية والإغلاق باستعمال الوحشي، وستر المعاني اللطيفة وإبعادها(٢)، وقلب الحقائق بتقبيح المحمود وعكسه.

وليس المراد بإصابة الوصف تقرير الحقائق، فهذا شأن العلم والعلماء، ولكن يمكن أن يستعيض الأديب بممكنات وقيم تضفي جمالا على الواقع الذي قد يعتريه النقص، وإكمال الغائب عن فضاء النص حسب إمكاناته التخيلية، "وعيار الإصابة في الوصف الذكاءُ وحُسن التمييز. فما وجدوه صادقا في العلوق ممازجا في اللصوق يتيسر الخروج عنه والتبرؤُ منه فذلك سيماء الإصابة"(٣) فالأديب لا ينسخ ما يصفه نسخا جامدا لا روح فيه ولا حياة، بل يصب على الموصوف من روحه وإحساسه ووجدانه وخياله وإلهامه، فيأتي وصفه ممتزجا بشاعريته التي

(١) ينظر أوهام شعراء العرب في المعاني.أحمد تيمور باشا، ص٣٩ وما بعدها بتصرف، مؤسسة هنداوي ٢٠١٥م.

(٢) ينظر كتاب الصناعتين ص ٤٥.

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة،١/ ٦٦٢، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

لا تفشي سرها إلا من خلال البوح بالكلمات، وجل بوحه وصف، يختلف باختلاف غرضه المختار؛ ولذلك حرر ابن عاشور في النص السابق المعيار من القوالب الجامدة والقوانين المنضبطة؛ لأن أشكال التعبير الأدبي مختلفة، وأنماط التعبير عنها يختلف باختلاف الغرض، واختلاف القرائح والحال النفسي التي يكون عليها القائل وما يعرض له، ولم يغل المنشئ بسرد خصائص أسلوبية وطرائق لغوية يجب أن ينتهجها الواصف، بل حرره من سلطة الاتباع والتقليد ووكله إلى حرية الفكر والذكاء الناقد المميز الذي يستشف الباطن وينفذ إلى السرائر مدركا للعلاقات الكامنة في جوهر الشيء الموصوف، ثم يعبر عنه تعبيرا فنيا يصاحبه في ذلك طاقاته الخلاقة: عقله وخياله وذوقه ومزاجه وتجاربه وخبرته وثقافته، ومن ثم فإن الموصوف الواحد يتخذ أشكالا عديدة تختلف باختلاف القائل، ويتميز تمييزا فريدا، فقد يستخدم المقابلة بين الأوصاف أو الموازنة لإيضاح الأوصاف، وقد يستخدم الرمز؛ لأنه لا ينقل الصفات نقلا حرفيا واقعيا تقليديا، بل يجمل موجزا فيصف في جمل قليلة ذات معان عظيمة مهملا صغائر الصفات وسفاسفها، فلا يتتبع جميع الصفات بل يستوعب الصفات الجوهرية، ويغوص في ركام الشيء ليستخرج دفائنه، ولا يستطيع المتلقي كشفه إلا إذا تفاعل معه وجدانيا وعقليا وجماليا، يدرك ويفكر ويعي ويربط بين العلاقات والعلامات ويستنبط ويقارن.

**<u>الإجادة في الوصف</u>:** عندما يريد الأديب أن يبين عن معنى يجيش بصدره، أو يحثه باعث على القول من رغبة أو رهبة أو طرب أو عُجب فيقذفه على لسانه في لغة انفعالية تعبر عن إحساسه وانفعاله وحاله النفسي وغاياته: أيطلب منه إبلاغ القصد، وإصابة المفصل، وبيان الحقائق وتقريرها وتفصيلها فلا يعدل عنها، أم أنه يطلق العنان لفكره فيبالغ في تصوير المعنى، ويبلغ الغاية في نعته فيغرق، ويجوّد في المخاتلة والتكذاب بالصيرورة إلى ما هو معدوم، فيخرج عن المألوف إلى المهجور تعظيما للشيء الذي يصفه؟ الوصف يعتوره

الصدق والكذب، ويميل إلى الكذب والمبالغة أكثر[١]، وتكثيف الصفات والجمع والحشد والانتخاب؛ لأن هدف المتكلم أن يقدم وصفا متسما بالجودة والجمال والكمال ينتمي إلى عالم المثل، لا الصدق بذكر الحقيقة، فيبالغ في نقل شعوره وإحساسه، وهذا النقل مغلف بمعتقده وفكره وأخلاقه ودخائل نفسه وطبائعه وانفعاله وميله وهواه.

واستيعاب جميع صفات الموصوف مجملة مع الخلو عن الإطالة، وعدم الاقتصار على بعضها غاية التجويد؛ ففي التفصيل يتجلى عمل الأديب وصنعته، وإنعام نظره، ورفق تأمله، وقوة استقصائه، فهو لا يصف الشيء عفوا

(١) جميع السياقات التي ورد فيها الوصف في القرءان الكريم (تصف وتصفون) وردت في مقام الكذب والذم والافتراء والأذى والكفر – نعوذ بالله منه– مثل قوله تعالى: " قَالَ أَنتُم شَرٌّ مَّكَانا وَٱللَّهُ أَعلَمُ بِمَا تَصِفُونَ" (يوسف: ٧٧)، "وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلسِنَتُكُمُ ٱلكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلكَذِبَ" (النحل: ١١٦) وغيرهما من الآيات، وما حكته كتب التراجم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها " أخبرنا محمد بن عمر، حدّثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: لما تزوَّج رسول الله أم سَلَمة رضي الله عنها حزنت حزنا شديدا لِمَا ذكروا لنا من جمالها، قالت: فتلطَّفت لها حتى رأيتها، فرأيتها – والله – أضعاف ما وُصفت لي في الحسن والجمال، قالت: فذكرت ذلك لحفصة – وكانتا يدا واحدة – فقالت: لا والله إنْ هذه إلا الغَيْرة، ما هي كما تقولون، فتلطَّفت لها حفصة حتى رأتها، فقالت: قد رأيتها، ولا والله ما هي كما تقولين ولا قريب، وإنها لجميلة، قالت: فرأيتها بعد، فكانت لعمري كما قالت حفصة، ولكني كنت غَيْري". الطبقات الكبرى. أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، تح: د. علي محمد عمر، ٩٢/١٠، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م. ما جاء في هذا الخبر الذي ضُعِّف من رواية الواقدي وهو متروك، يدل على أن الوصف مبالغ فيه، فتُرك القصد، وميل عن الصواب والحق؛ فعائشة سمعت وصفا منقولا، فخامر نفسها وانفعلت به انفعالا شديدا متأثرة بما سمعت من وصف مبالغ فيه.

جملة جزافا يصدق أن يقع وصفه على أي شيء مشابه لما يصفه، فلا خصوصية ولا تميز ولا تفرد، ومثله يعرف بالبديهة، ويستوي في إدراكه البليد والذكي لشهرته وتبذله واستهلاكه، ففي التفصيل التفضيل.

وقد ذكر قدامة لحُسن الوصف شروطا ثلاثة ١- استيعاب أكثر الأوصاف، ٢- ذكر أظهرها وأشهرها، ٣- تمثيلها للحس[١]، والشرط الثالث يقتضي وقفة، فعليه قامت مباحث التشبيه في البلاغة العربية، وعندما قرر قدامة أن مدح الرجال خاصة ينحصر في صفات معنوية أربع (العقل والشجاعة والعدل والعفة)[٢]، وجب تمثيلها للحس والعيان هيئة مجسمة مرئية، وصورة محسة متخيلة، فالوصف إظهار وكشف، وجمع للأوصاف، وهنا يرد تساؤل: أينبغي أن ينظر إلى الوصف على أنه موضوع أوغرض من أغراض القول يكشف عن أحوال وهيئات تميز الموصوف، أم ينظر إلى طريقة إبداع الأديب لأسلوب الوصف ومعالجته وما يمتاز به من خصائص ومزايا تميزه عن غيره من فنون القول؟ الحق أن البلاغة تربط بين الأمرين لتنظر في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، فالغرض الأسمى من إنشاء القول هو الإفادة ووعي المنشئ بحصول النفع والأثر المرجو منه وإلا كان الكلام لغوا ينبغي أن يعرض عنه، وتنظر في مناسبة طريقة التعبير للغرض الذي قيل فيه، بغض النظر عن صدق الوصف أو كذبه، فالواصف لا يقرر حقائق فقط، فما الفائدة من ذكر أشكال أو هيئات يكون عليها الشيء؟ الفائدة تكمن في تعبير المتكلم عن انفعاله بالموصوف وإحساسه به، ونقل حاله النفسي والشعوري وموقفه وغايته، وإيقاعه منه في نفس المتلقي شعورا مماثلا، وحالا مشابهة له، وهذا لا يتأتى بتعمية المعاني وإغلاقها وتدقيقها، واستعمال الوحشي، والمشترك والموهم.

(١) ينظر نقد الشعر ص ١٣٠.

(٢) ينظر السابق نفسه ص٩٦.

## اقتضاء[١] الموصوف الصفة

يميل المتكلم إلى ملأ عقل المتلقي وقلبه بالمعنى الذي يصفه، واصلا بالموصوف نحو المثالية والكمال؛ ولذلك يجمع له كل الصفات الشريفة، وتتجلى هذه الصفات في أساليب بعينها كأسلوب التفضيل والتوكيد، واستخدام صيغ الجموع، وأسلوب المبالغة وصيغها، والتكرار، والتمثيل، والاستعارة، والإيغال، والقصر، واستخدام الغريب الطريف من الألفاظ.

## المبحث الأول

## وصف الزوج

فسر أبو علي القالي الغريب في وصف حديث امرأة مع بناتها، وحديث النساء مما يؤنَس به؛ ولذلك سمين مؤنسات، وكثر وصفهن بالأوانس في الشعر العربي، يقول ذو الرمة:

**أَوَانِسُ وُضَّحُ الأَجْيَادِ عِينٌ ... ترى مِنهُنَّ في المُقَلِ احورارَا**[٢]

وتكرر مدح حديثهن خاصة في شعر بشار، وقد ورد ذلك في مواضع عدة من ديوانه[٣]، ومن عادة النساء إذا اجتمعن ولم يكن لديهن شاغل أن يأخذن

---

(١) الاقتضاء: أن يكون فى الأول اقتضاء للثانى، وفى الثانى افتقار إلى الأول. الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء. أبو عبيد الله ابن محمد المرزباني، ص٤١.

(٢) ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب. أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي، تح: عبد القدوس أبو صالح،٢/ ١٣٧٣، ط١، مؤسسة الإيمان. جدة١٤٠٢هـ -١٩٨٢ م، مطلع القصيدة :

نَبَتْ عَيْنَاكَ عَنْ طَلَلٍ بِحُزْوَى ... عَفَتْهُ الرِيحُ وامْتَتَحَ القِطَارا

(٣) يقول بشار في ديوانه، تح: الطاهر ابن عاشور، ١٩٣/٢، ١/ ١٤٤، وزارة الثقافة ٢٠٠٧م:

**حَوراءُ كانَت هَوى نَفسي وَمُنيَتَها ... لَو قَرَّبَ الدَهرُ مِن لُقيانِها أَمَدا**

**وَلَو تُكَلِّمُ مَحمولاً جِنازَتُهُ ... قَد ماتَ بِالأَمسِ أَو تَرثي لَهُ خَلَدا**

=

بأطراف الأحاديث أنسا وسمرا، ومقام الحديث هنا خاص، فهو حديث أمّ مع بناتها، والمتحدث فيه أيضا خاص وهو سمات اختيار الزوج: " قَالَت عَجُوزٌ(١)

---

=

ويقول:

**وَحَديثٌ كَـــأَنَّهُ قِطَعُ الـــرَو ضِ زَهَتهُ الصَفراءُ وَالحَمراءُ**
**وَكَـــأَنّ رَجْـــعَ حَـــدِيثِهَا قِطَـــعُ الرِّيَاضِ كُسِينَ زَهْرَا**
**وَكَـــأَنَّ تَـــحْـــتَ لِسَانِهَا هَـــارُوتَ يَنفِثُ فِـــيهِ سِحْرَا**

ويقول ابن الرومي:

**وحَدِيثُهَا السِّحْرُ الحَلَالُ لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَجْنِ قَتْلَ المُسْلِمِ المُتَحَرِّزِ**
**شَرْكُ النُّفُوسِ وَفِتْنَةٌ مَـا مِثْلُهَا لِلْمُطْمَـــئِـــنِ وعُقْلَةُ المُسْتَوفِزِ**
**إِنْ طَالَ لَمْ يُمْلَلْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ المُـحدَّثُ أَنَّهَا لَـــمْ تَوْجِزِ=**

ويقول القطامي:=

**=فَهْنَّ يِنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْـــنَ بِهِ مَوَاقِعَ المَاءِ مِنْ ذِي الغُلَّةِ الصَّادِي**

ديوان المعاني.أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، ٢٤٢/١، دار الجيل. بيروت. د. ت.

(١) ما جاء في النص أن المرأة عجوز يظن أنها طاعنة في السنة كبيرة، فيرد على ذهن القارئ تساؤل: كيف تسأل المرأة بناتها عن صفات أزواجهن وهي عجوز، وقد جرت عادة العرب أن يزوجن البنات صغيرات؟! فكون الأم عجوزا يقتضي كون البنات كبيرات، وهنا يقتضي المقام البحث عن أصل إطلاق العجوز على المرأة، فعجوز من العجز: وهو العجز عما كانت تقدر عليه من الحمل والولادة، فقد تكون بلغت الخمسين أو شارفتها، وبذلك لا تكون هرمة " والعرب تقول لامرأة الرجل وإن كانت شابة: هي عجوزه، وللزوج وإن كان حدثا: هو شيخها". لسان العرب. مادة (ع ج ز)، وبهذا يندفع أن تكون العجوز هرمة بالية، هرشفة شهبرة، وعلى ذلك فالعجوز يمكن أن يكون في سن متوسطة ولكنه عجز عن بعض ما كان يقوم به لضعف، ولا يراد به الذاهب في السن في هذا المقام؛ فلو كان يقصد بالعجوز البالي لوصف بـ(كبير) كما ورد في القرءان الكريم "إِنَّ لَـــهُ أَبًـــا شَيخًا كَبِيرًا"(يوسف: ٧٨) كبير أي: بلغ الغاية في الكبر، "وَأَبُونَا شَـيخٌ كَبِـيرٌ"(القصص:

=

مِنَ العَرَبِ لثَلاثِ بَنَاتٍ لَهَا: صِفْنَ مَا تُحْبِبْنَ مِنَ الأَزْوَاجِ، فقَالَت الكُبْرَى: أُرِيدُ أَرْوَعَ بسَّامًا، أَحَذَّ مِجْذَامًا، سيِّدَ ناديهِ، وثِمَالَ عَافِيهِ، ومُحْسِبَ رَاجِيهِ، فِنَاؤُهُ رَحْبٌ،

---

=

٢٣) أي: ضعيف يضعف عن المزاحمة، وجاء في السنة الشريفة " أَخْبَرَنَا الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ يُحَدِّثُ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ خَثْعَمٍ سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ فِي الْحَجِّ عَلَى عِبَادِهِ أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَمْسِكَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَهَلْ تَرَى أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نَعَمْ". مسند الإمام الشافعي. أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس، رتبه: أبو سعيد سنجر بن عبد الله الجاولي، تح: ماهر ياسين فحل، حديث رقم (٩٢٧)، بَابُ (الحَجِّ عَنِ الْعَاجِزِ)،٢/ ٢٤١، ط١، شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م، "وَذَكَرَ مَالِكٌ أَوْ غَيْرُهُ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمِّي عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ لا تَسْتَطِيعُ أَنْ نُرْكِبَهَا عَلَى الْبَعِيرِ، وَإِنْ رَبَطْنَّهَا خِفْتُ أَنْ تَمُوتَ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: "نَعَم". السابق نفسه، حديث رقم (٩٣٤)، بَابُ (الحَجِّ عَنِ الْعَاجِزِ)،٢/ ٢٤٤، فوصف العجوز بالكبر للطعن في السن، واستحكام الضعف، وكذلك الشيخ، وقد جاء تحديد عمر العجوز في قول بعض الأدباء: "وعن سفيان أن عمر ابن الخطاب قال: "إن ابنة عشر سنين تسر الناظرين، وابنة عشرين لذة للمعانقين، وابنة الثلاثين ذات سمنٍ ولينٍ، وابنة أربعين ذات بناتٍ وبنين، وابنة خمسين عجوزٌ في الغابرين". أدب النساء الموسوم بكتاب العناية والنهاية. أبي مروان عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب الإلبيري القرطبي، تح: عبد المجيد تركي، ص١٥٣، ط١، دار الغرب الإسلامي١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، وقد تكون العجوز ابنة أربعين، أو في العقد الرابع يستنبط هذا من قول مجاهد: " كان أصحاب الأخدود خدوا أخدودا وملؤها نارا ، فألقوا فيها من آمن بالله، وتركوا من كفر فألقوا بضعة وثمانين مؤمنا حتى أتوا على عجوز كبيرة وابنها خلفها صبي صغير". تفسير مجاهد. أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، تح: د. محمد عبد السلام أبو النيل، ص٧١٨، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م.

وقِيَادُهُ صَعْبٌ. وقَالَت الوسطى: أُرِيدُهُ عَالِيَ السَّنَاءِ، مُصمِّمَ المِضَاءِ، عَظِيمَ نَارٍ، مُتَمِّمَ أَيْسَارٍ، يُفِيدُ وَيُبِيدُ، وَيُبْدِىءُ وَيُعِيدُ، هُوَ فِي الأَهْلِ صَبِيٌّ، وَفِي الجَيْشِ كَمِيٌّ، تَسْتَعْبِدُهُ الحَلِيلَةُ، وَتُسَوِّدُهُ الفَضِيلَةُ، وقالت الصغرى: أُرِيدُهُ بَازِلَ عَامٍ، كَالمُهَنَّدِ الصِّمْصَامِ، قِرَانُهُ حُبُورٌ، وَلِقَاؤُهُ سُرُورٌ، إِنْ ضَمَّ قَضْقَضَ، وَإِنْ دَسَرَ أَغْمَضَ، وَإِنْ أَخَلَّ أَحْمَضَ، قالت أمُّها: فُضَّ فُوكِ لَقَدْ فَرَرْتِ لي شِرَّةَ الشَّبَابِ جَذْعَةً"(١).

لم تكشف المصادر الأدبية عن كثير من سمات اختيار الزوج، ولكن كثر الوصف الحسي للمرأة في الشعر وغاب المعنوي؛ لأنها كانت مكنونة مقصورة، فلا يستطاع الاقتراب منها وكشف صفاتها الخُلُقية وطبائعها إلا لمحرم، والمحرم لا ينسب بذوي قرابته، ولا يشهر صفاتهن غيرة وأنفة؛ كما أن اختيار الزوج كان من مهام الولي، وهو ما أقره الدين الإسلامي، واشترطه بعض الفقهاء لجواز إتمام عقد النكاح صونا لحياء المرأة وعفتها، أما ما يخص الرجل فقد أشار قدامة في نعت المديح(٢) إلى الصفات والفضائل النفسية التي ينبغي أن يوصف بها، ولما كانت الأم لصيقة البنت، قريبة إلى نفسها، تتباسط معها في الحديث بما لا يكون مع جلال الأب وسطوته، أرادت الأم أن تمتحن عقول بناتها، وتكشف عن ميولهن، فطلبت منهن ملاطفة أن يصفن ما يستحسن ويفضلن من الأزواج، فأبانت البنات ببيان حزن المسلك، صعب الفهم، غريب على الأسماع، غامض في معناه، وهو ما دعا القالي إلى تفسير الغريب تفسيرا لغويا، بل استطرد بذكر المعاني الأخر التي تدل عليها الكلمة الغريبة في المعجم، وتبيين الغريب لا يقتصر على معرفة معاني الألفاظ، فالاقتصار على ذلك يفقد الكلام روحه ومعناه؛ ولذا توجب فك شفرات الغريب في سياقه، ومراجعة المعاني التي فسرها الشارح؛ لمعرفة تناغمها مع السياق؛ لأن غرابة الصفات تحمل في طياتها معاني

(١) الأمالي. أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي، ١٦/١، ط٣، دار الكتب المصرية ٢٠٠٠م.

(٢) ينظر نقد الشعر ص٩٥.

مختبئة في أحشاء هذه اللغة الصعبة الغريبة، فهذا المقام كان يقتضي أن تبين البنات بلغة طيعة كاشفة سهلة تناسب رقتهن، ولكنهن لجأن إلى الغريب، وهو داع إلى التساؤل: أعري المتقدمون لطلب الزواج منهن عن صفات معينة أردنها فعبرن بالغريب لندرتها أم رأين أنه لا يكون لهن كفؤ إلا نوعا من الرجال نادرا كندرة الغريب وطرافته؟ أوكانت هؤلاء البنات أعرابيات فعبرن بما يليق بلغة البدو من الوعورة والجفاء؟ لا يمكن القطع بأي هذه الاحتمالات؛ فلم يرد مع النص كشافات أو إيضاحات تبين مناسبة قوله أو زمنه؛ ولذلك لا سبيل إلا التعامل مع لغة النص المحيرة الغامضة التي تواري خلفها معيارا أخلاقيا يتغير بتغير العصور، وصفات قد تكون حقيقية واقعية أو متخيلة، فالتركيز على النص دون غيره نبدأ منه ونستمر فيه وننتهي به، ودرس لغته تكشف عن أفكار البنات وخيالاتهن وطموحاتهن، وسردهن لصفات بعينها دون غيرها اصطفاء وانتخابا، وفحص لمختلف أنماط السلوك وطبائع الشخصيات للظفر بمزايا معينة خاصة، وهذا بدوره مرشد إلى معرفة ثقافة المرأة في الماضي ومستوى تفكيرها.

ابتدأ الوصف بحديث البنت الكبرى إكبارا للسن وعرفانا بفضل الكبير ومكانته " فقَالَت الكبرى: أريد أَرْوعَ[١] بَسّامًا، أَحَذَّ[٢] مِجْذَامًا[٣]، سَيّدَ نَادِيهِ، وثِمَالَ[٤]عَافِيه[٥]، ومُحْسِبَ[٦] رَاجِيه، فِنَاؤُهُ رَحْبٌ، وقِيادُهُ صَعْبٌ." ترقت البنت في ذكر صفات الزوج من الحسي إلى المعنوي، ولم تطنب في ذكر صفات حسية،

(١) أروع: الرجل الكريم ذو الجسم والجهارة والفضل والسودد، والذي يعجب حسنه. لسان العرب. مادة (روع).

(٢) أحذ: سريع المضاء. السابق نفسه. مادة (ح ذ ذ).

(٣) مجذاما: قاطع للأمور فيصل، مجرب. السابق نفسه. مادة (ج ذ م).

(٤) ثمال: الملجأ والغياث والمطعم في الشدة. السابق نفسه. مادة (ث م ل).

(٥) العافي: الأضياف وطلاب المعروف، الذين يعفونك: أي يأتونك يطلبون ما عندك. السابق نفسه. مادة (ع ف ا).

(٦) محسب: الكافي. السابق نفسه. مادة (ح س ب).

بل اختارت منها صفتين جامعتين كاشفتين عن الظاهر والباطن، فالأروع كناية عن صحة الجسد وسلامته واستواء الخلقة، فطلته تروق العين وتعجب النفس، ولم تطنب بذكر جزئيات صورته وقسماته، بل أوجزت بذكر الجمال المنبعث من تناسق الصورة الكاملة، ووصفها بـ(بساما) كناية عن سلامة داخله، ولين جانبه، واتزانه النفسي، وثقته بنفسه، وهذا مما ينعكس أثره على رائيه، فتستريح إلى رؤيته العين، وتشعر النفس بالرضا والاكتفاء؛ ولهذا شرع المصطفى صلى الله عليه وسلم النظر قبل إتمام عقدة النكاح، ثم ترقت بذكر الصفات المعنوية فنبهت أولا على كمال العقل، فقالت: (أحذ مجذاما) كناية عن نباهته وبداهته وحكمته، فهو مجرب، يقطع الأمر وينفذ فيه؛ لخبرته ودربته، فلا يركن إلى أحد، ولا يتتعتع أو يتزعزع، وقد فسر اليزيدي (مجذاما) بسريع، في قول متمم بن نويرة التميمي يرثي أخاه مالكا قتل في الردة[١]:

**وقَدْ كَانَ مِجْذَامًا[٢] إلى الحَرْبِ ركْضُهُ سَرِيعًا إِلَى الدَّاعِي إِذَا هُو أَفْزَعَا**

ولا تعني مجذام السرعة؛ لسبقها بالوصف بأحذ، وهو من التشبيه البليغ، حيث شبه الموصوف بالسيف القاطع في مضائه ونفاذه، ثم تزيد البيان بيانا فتصفه بـ(سيد ناديه) تمييزا بينه وبين غيره بوصف خاص[٣] فما بقومه أكثر ناديا منه، فقد بلغ من هذا الوصف غايته، وإضافة النادي إلى ضميره؛ لأنه رئيس

(١) الأمالي. أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدى، ص١٩، ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن – الهند ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨م، وروي: مقداما وليس مجذاما.

(٢) ووردت رواية (مقداما) بدل (مجذاما)، وهي أصح لورود الوصف بسريع صريحا في البيت (ركضه سريعا)، ووردت رواية (مخذاما) بالخاءالمعجمة. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام. أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تح: علي محمد البجاوي، ص٥٩٧، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. د. ت.

(٣) ينظر البرهان في علوم القرآن. محمد بن عبد الله الزركشي، تح: أبي الفضل الدمياطي، ص ٥٧٠، دار الحديث. القاهرة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

أهل النادي المعظّم والإمام في الخير، يجتمعون إليه[١]، وكونه سيدا لا يعزله عن باقي الناس، فهو(ثمالُ عافيه) غياث طالبي معروفه، و(ومحسب راجيه) كافيهم، فإضافة الصفة (ثمالُ، ومحسب) إلى مفعولها (عافيه، وراجيه)؛ لاختصاص صاحبها بالغوث والكفاية، واتصاله بالعافين والراجين وعدم انقطاعه عنهم لا لتعريف شخصه، فصفاته النبيلة تعرف به، والإضافة إيجاز بحذف حرف الجر المفهم لمعنى الاختصاص(اللام)، فالأصل: هو ثمال لعافيه وهو محسب لراجيه، وهذه الصفات لا يستمد منها انطباعا حسيا ولكن إحساسا بالجلال، فكل ما سردته البنت من صفات فضائل نفسية وخُلقية، وأخرت الجانب المادي على خلاف عادة المرأة في الاهتمام بيسار الرجل وغناه، فقالت:(فناؤه رحب) اتساع ساحة الدار كناية عن اليسار، والاعتناء باستقبال الضيفان، وكذلك نجدته العافين وكفايته الراجين تعريض بيساره أيضا، فكرمه حسي ومعنوي، ثم ختمت وصفها برد صفات العجز على الصدر ردا معنويا، تقول:(وقياده صعب) فاستعارت له صفة الفرس وهي الحرونة والشموس، استعارة أصلية، حيث شبهت عزته وإبائه بحرونة الفرس، بجامع الصلابة والعزة والقوة، كناية عن عزته ومنعته، فابتدأت بالقطع في الأمور، وانتهت بصعوبة الانقياد، فالصفات التسع التي سردتها البنت ترمز إلى فارس، ماض في الأمر، صعب القياد، ولوحت بعدة الفارس من وراء أستار المعاني، فشبهته تشبيها ضمنيا بالسيف، وخلعت عليه من صفات ركوبته الإباء والمنعة.

إن الغرابة الكائنة في بعض الصفات (أحذ، مجذاما، ثمال) جاوزت المستوى السطحي الكاشف إلى مستوى رمزى بعيد، يُري علو الهمة وسمو النفس، فالتي تبغي الاقتران بفارس لابد أن تكون ذات نفس أبية شامخة، صبورة جلدة، فالقوة والإباء رُمز لهما بمعادل مادي هو السيف والفرس، وقد تدرج هذا الوصف من كونه وصفا كاشفا عن تفضيل أو رأي خاص إلى نظر شامل لما ينبغي أن تكون عليه أخلاق الرجال، فغاصت وتغورت حتى اقتنصت لذلك ما

(١) ينظر معنى سيد في لسان العرب. مادة ( س و د).

يناسب من لغة بعيدة عن الابتذال والاستهلاك والكساد جعلتها إشارات ورموزا إلى معان تنتظم من خلالها الحياة "وتعبر بواسطتها من رؤية ووجهة نظر لهما قوة التأثير في موجات إثر موجات من مشاعر الناس، وفي بيئات إثر بيئات"[١].

وفي هذا المقام لا يمكن أن يتجاهل الدور الذي يؤديه البديع من إيقاع ساعد على تكثيف معانى السمات وتعميق أثرها في النفس، فلم تتعمل البنت لإيراده، ولم تُقَفِّ الجملة بأخرى تشبهها معنى ووزنا، فالنغم الذي ارتضته تعبيرا عن ذوقها وحاجتها له صلة مباشرة بالمعنى، فالترديد الصوتي لأوزان متكررة كالترصيع في قولها:(فناؤه رحب، وقياده صعب)، والسجع المطرف(بساما ومجذاما) والسجع المتوازي (ناديه وعافيه وراجيه)، مرتكز إيقاعي مفتوح، يكثف الصفات ويزيدها قوة وتكثيرا؛ لتكرار ألف المد في أثناء الفقرات ووصلا في أسجاعها، وتكرار أفعل التفضيل (أروع، أحذ) وصيغ المبالغة (بساما– مجذاما– سيد– ثمال) جعل الصفات أكثر خصوبة وغنى؛ لأن التفضيل والزيادة بهما يبتدئان ولا نهاية لهما؛ لدلالاتهما على مصدر الفعل وزيادة، أما البنت الوسطى فقالت: "أريد عاليَ السناء، مصممَ المضاء، عظيمُ نار، متممُ أيسار، يفيد ويبيد، ويبدئ ويعيد، هُوَ فِي الأهل صبىّ، وفي الجيش كمي، تستعبده الحليلة، وتسوّده الفضيلة." فلم تغرب في الوصف؛ لأنها اقتدت بأختها وتأثرت بها، فأغارت على بيانها، وأخذت معناها وكسته ألفاظا مغايرة، فوقعت في ربقة التقليد؛ ولهذا سجنت في معاني محددة وتقيدت بها، فلم تبدع أو تغرب، وحين ابتعدت الصغرى عن ضغط التقليد والمحاكاة أتى الإبداع والإغراب والخلق، فقالت:" أريده بازل[٢] عام، كالمهند الصمصام[٣]، قرانه[٤] حبور، ولقاؤه سرور، إن ضم قضقض[٥]، وإن

(١) قراءة الشعر. د. محمود الربيعي، ص٣٤، دار غريب للطباعة والنشر. القاهرة. د. ت.
(٢) بازل عام: مستجمع الشباب، مستكمل القوة. لسان العرب. مادة (ب ز ل).
(٣) الصمصام: صارم لا ينثني. السابق نفسه . مادة (ص م ص م).
(٤) قرانه: وصله وصحبته. السابق نفسه. مادة (ق ر ن).
(٥) قضقض: كسر العظام والأعضاء. السابق نفسه. مادة (ق ض ق ض).

دسر[١] أغمض[٢]، وإن أخل أحمض[٣]. قَالَت أمها: فض فوك! لقد فررت[٤] لى شرة[٥] الشباب جذعةً" اكتظ بيان الصغرى بالغريب، ويعزى ذلك لعدة أمور، منها: الابتداع وعدم التقليد، وما تضمن حديثها من ذكر للرغبة واللذة الحسية متمثلة في الفتوة والفحولة والقوة الجسدية في أمور يحسن أن يُكنى عنها ويُورى، فغرارتها وحداثة سنها جعل تفكيرها منصبا على الصفات الجسدية؛ ولذلك أغربت بذكر صفات تحتاج التنقيب عنها في معاجم اللغة، وتصرفت في معانيها؛ لتستر مرادها، فقولها: (بازل عام) استعارة لكمال القوة واستجماع الشباب استعارة تصريحية، فاستعارت صفة البعير للشاب القوي، مبالغة في وصفة بالفتوة والكمال، وإيقاعه في نفس السامع صورة البعير في قوته وبأسه وشدته، ولم تكتف بل ترقت في وصف القوة والشدة فشبهته بالسيف الصارم، وكأنها رأت أن الاستعارة بها غموض لحذف أحد طرفيها، فصرحت بالتشبيه (كالمهند الصمصام) ترقيا في الوصف وجمعا لكل صفات القوة والشدة مورى بها وظاهرة؛ ولذلك أعقبت المعنى المتخيل بالصورة المرئية التي تدرك بالحس وتثير الخيال وتُنحي العقل؛ لاهتمامها باحتياجاتها الجسدية، وصراعها بين شهوتها وجديتها متحررة من سلطان الأخلاق والتقاليد، وما عرف عن المرأة من الحياء والكتمان، فغناها بالحس والعاطفة جعلها تقدم صفات جريئة للشكل، وتبرز نهمها في طلب المتعة الجسدية واللذة الحسية فكشفت عن ذلك صراحة دون قيد أو مواربة تقول:(إن ضم قضقض، وإن دسر أغمض، وإن أخل أحمض)، فروح المرح والمبالغة والغرابة تسيطر على أسلوبها، فأسمعت لتكسير عظامها صوتا وكأنها فريسة حطمها سبع على سبيل الاستعارة المكنية، وهي ترمز بذلك إلى المبالغة

(١) دسر: الطعن والدفع الشديد. السابق نفسه . مادة (د س ر).

(٢) أغمض: ذهب وغاب وغاص. السابق نفسه. مادة ( غ م ض).

(٣) أخل أحمض: الانتقال من حال إلى حال. السابق نفسه. مادة (ح م ض).

(٤) فررت: فر الأمر جذعا أي: رجع عوده على بدئه. السابق نفسه. مادة (ف ر ر).

(٥) شرة: الحرص والنشاط والرغبة. السابق نفسه. مادة (ش ر ر).

في تفرد جمالها وانعقاد الرغبة فيها، والإقبال عليها؛ ولذا استخدمت الغريب(قضقض، وأحمض) فالنفس تقبل على الطريف البعيد لجدته واختلافه وكذلك سيكون حال زوجها؛ ولذلك سيسعى لإرضائها وإشباعها فإن (أخل أحمض) وهو مثل يضرب للانتقال من حال إلى حال على سبيل الاستعارة التمثيلية، ولذلك نهرتها أمها، وأبدت تعجبها قائلة: (فض فوك! لقد فررت لى شرة الشباب جذعةً) وهو من الاستعارة التمثيلية أيضا، لتذكر أحوال الشباب وما يكون من شدة الرغبة والحرص على إشباعها، فالغرابة في بيان الأم حدثت نتيجة لاستثارة مواقف خاصة بمرحلة الشباب واستعادتها بواسطة موقف حالي، فانبعثت حية من جديد لديها؛ لتذكرها بما فقدت من ذاتها، والرغبة هنا تعلقت بالمفتقد الغائب فيبدو وكأنه أصبح غريبا، والاستعارة التمثيلية أغنت عن الإفصاح بذكر كلمات وتعبيرات لا تليق، وعبرت عما وراء اللغة من الغرائز والأفكار والصور وغير المألوف والمكبوت باللغة، وكون عناصر تكوينها من الغريب (أخل، أحمض، فررت، شرة، جذعة) أدخل في الستر والتغطية؛ لغياب المعنى وراء"غابة غامضة من الدلالات والمعاني المتعددة المتشابكة الجذور والأغصان"[1]. وما ذكرته الصغرى من صفات لأخلاقية ينم عن مستوى الرفاهية الأخلاقية التي حظيت بها وتمثلت في حرية التعبير عن رغباتها، فلم تختر من يكفلها أو يحميها بل اهتمت برغبتها.

(١) الغرابة المفهوم وتجلياته في الأدب. د. شاكر عبد الحميد، ص٥٠، عالم المعرفة، العدد٣٨٤، صفر ١٤٣٣هـ – يناير ٢٠١٢م.

## المبحث الثاني

## وصف النساء

يعيش الأعرابي حياة حرة بعيدة عن القيود، ولكن لغة وصفه غريبة مقيدة مرسفة في أغلال الترصيع والتسجيع مع أن الموضوع الذي يصفه مألوفا ليس غريبا، والمقام يستدعي العذوبة والرقة والتبسط والتحلل، ولكن الأعرابي جعل المألوف غريبا بانفعاله وشعوره وفكره، وانحرافه عن المعهود، فوصف النساء بالغريب ليخلع عليهن جلالا وغموضا، يقول: "يَلْتَثِمْنَ عَلَى السَّبَائِكِ[١]، ويَتَّشِحْنَ عَلَى النَّيَازِكِ[٢]، ويأْتَزِرْنَ عَلَى العَوَانِكِ[٣]، ويَرْتَفِقْنَ[٤] عَلَى الأَرَائِكِ[٥]، ويَتَهَادَيْنَ عَلَى الدَّرَانِكِ[٦]، ابْتِسَامُهُنَّ وَمِيض عَنْ وَلِيع[٧] كَالإِغْرِيضِ[٨]، وهُنَّ إِلَى الصَّبَا صُور[٩]، وعَنِ الخَنَا[١٠] نُور[١١] "[١٢]. أرهق الأعرابي كاهل قواريره بكلم تعمّل

(١) السبائك: القطع المذوبة من الذهب والفضة. لسان العرب. مادة (س ب ك ).

(٢) النيازك: الرماح القصير. السابق نفسه. مادة (ن ز ك).

(٣) العوانك: الرمل الكثير، والتعنيك: المشقة والضيق والمنع. السابق نفسه. مادة (ع ن ك ).

(٤) يرتفقن: صرن رفقاء، ورفيقك: الذي يرافقك في السفر تجمعك وإياه رفقة واحدة. السابق نفسه. مادة (ر ف ق).

(٥) الأرائك: سرير فيه حجلة وهي قبة من ثياب تجلس فيها المرأة، فإذا وضع فيها سرير أو متكأ سمي أريكة. السابق نفسه. مادة ( أ ر ك).

(٦) الدرانك: جمع الدرنوك والدرنيك: ضرب من الثياب أو البسط، له خمل قصير كخمل المناديل وهو الطنفسة؛ فيه الصفرة والخضرة. السابق نفسه. مادة (د ر ك).

(٧) وليع: الطلع. السابق نفسه. مادة (و ل ع).

(٨) الإغريض: الطلع، والبرد. السابق نفسه. مادة (غ ر ض).

(٩) صور: مائلات. السابق نفسه. مادة (ص و ر).

(١٠) الخنا: الفحش في القول، وقبيح الكلام. السابق نفسه. مادة (خ ن ا).

(١١) نور: نُفُر من الريبة والشر والقبيح. السابق نفسه. مادة (ن و ر).

(١٢) الأمالي ١/ ٤٢.

وتصنّع لإيرادها على سجع واحد (السبائك، النيازك، العوانك، الأرائك، الدرانك)، (وميض وإغريض، صور ونور)، ورغم تكلفه فإن القارئ ليتعجب، هل كان الأعرابي حافظا مستظهرا لمعاجم اللغة في ذهنه حتى يتمكن أن يأتي بخمس مفردات ذات نهاية واحدة (الكاف) أربع منها غريب، يُبحث عنها في معجم لسان العرب تحت قافية واحدة ؟!

كثر وصف النساء في شعر الغزل والنثر كثرة كاثرة، ولكن القارئ لوصف الأعرابي لا يشعر أنه يصف نساء بل يصف فوارس مغايرات للنساء المألوفات، فصفاته يمكن أن تحمل على التورية بلباس الحرب (السبائك، والنيازك، والأرائك)، ويمكن حملها على الحقيقة ويكون المراد التشبيه، فشبه الأسنان لصفائها ولمعتها بالسبائك، وشبه قامتهن بالرمح في استقامته، وشبه لمع ثناياهن بإيماض البرق، وشبه أسنانهن باللؤلؤ في شدة البياض، وشبه مكان انعقاد الأزر بالرمل الكثير.

إن الأعرابي صنع لوصفه عالما خياليا خاصا يلفه الغموض، يشعر فيه القارئ بالاغتراب، فوصفه أشبه بمسرح تتحرك فيه الدمى حركات مقننة محسوبة، وقد ساعد على ذلك التتابع والتكرار لبنى بعينها، فكرر الجملة الفعلية المضارعة خمس مرات (يَلْتَثِمْنَ، ويَتَّشِحْنَ، ويأْتَزِرْنَ، ويَرْتَفِقْنَ، ويَتَهَادَيْنَ) فيما يخص الهيئة الخارجية؛ لأنها متغيرة صائرة إلى زوال، أما ما يخص الخلق فعدل إلى الجملة الاسمية ذات البنية المتقابلة(هن إِلَى الصَّبَا صُور، وعَنِ الخَنَا نُور) المفيدة لدوام الترفع عن الرذائل، كما يشعر بحالة من التردد والالتباس والقلق تعزى إلى عملية تكوين النص والإكثار من الغريب، وكأن الأعرابي يتصل بعالم آخر، وكما سبق أن ذكر البحث إن وصف الرجل للمرأة وصفا حسيا ينصب على الاهتمام بهيئتها الظاهرة دون نظر إلى فكرها وعقلها.

## المبحث الثالث

## وصف الأبناء

الوصف في هذا المقام خاص بالأبناء الذكور، فما كان الأعرابي ليصف بناته، وسرت هذه العادة في المجتمع العربي الجاهلي، وأقرها الإسلام غيرة وأنفة، وحفظا للمرأة عن السوء والشر، وإعلاء لقدرها، وصونا لحيائها، وما تدوول في الشعر الجاهلي من غزل صريح مكشوف قد يكون أماني وظنونا في خيال الشاعر؛ فالمرأة كانت ممنعة محجوبة، والشعراء يهيمون ويقولون ما لا يفعلون، هل يجرؤ امرؤ القيس أن يقتحم خلوة امرأة كما قال[١]:

**سَمَوْتُ إلَيها بَعدَما نَامَ أهْلُهَا سُمُوَّ حَبَابِ المَاءِ حَالاً على حَالِ**

كانوا يسكنون الخيام، فكيف سما إليها؟ وكيف تجاوز الأحراس والمعشر؟ هو يتمنى ويريد، ولا يستطيع أحد كفّ خياله، وتدفق شاعريته، فيقول ما يرجو أن يكون واقعا وإن لم يتحقق، وإن كان على خلاف العادة.

افتخر الأعرابي بأبنائه الذكور الصمم الذين يدافعون عن الأرض، ويحمون العرض؛ ولذا أطنب في وصف شجاعتهم، وقوة بأسهم في الحرب، ونجدتهم للضعيف، وكرمهم، يقول: "... قلت لأعرابى بحمى الربذة: ألك بنون؟ قَالَ: نعم، وخالقهم لم تقم عَنْ مثلهم منجبة، فقلت: صفهم لى، فقَالَ: جَهْم[٢] وما جَهْم! يُنْضِي[٣] الوَهْمَ، ويصُدُّ الدَّهْمَ، ويَفْرِى الصُّفُوفَ، ويَعُلُّ[٤] السُّيُوفَ، قلت: ثُمَّ مَنْ؟

(١) ديوان امرئ القيس، ص١٣٧ ، من قصيدة مطلعها:
ألا عِمْ صَبَاحًا أيّهَا الطّلَلُ البَالِي ... وَهل يَعِمنْ مَنْ كَانَ في العُصُرِ الخَالِي

(٢) جهم: الغليظ المجتمع في سماجة. لسان العرب. مادة (ج هـ م).

(٣) ينضي: يخلعه ويهزله ويبليه. السابق نفسه. مادة (ن ض ا).

(٤) يعل: الشربة الثانية، أو الشرب بعد الشرب تباعا. السابق نفسه. مادة (ع ل ل).

قال: "غَشَمْشَم[١]! وما غَشَمْشَم؟ مَالُه مُقَسَّم، وقِرْنُهُ مَجَرْجَم[٢]، جِذْلُ[٣] حِكاكٍ[٤]، ومِدْرَهُ[٥] لِكَاك[٦]، قلت: ثُمَّ مَنْ؟ قال: "عَشَرَّب[٧]! وما عَشَرَّب؟ ليث مُحَرَّب[٨]، وسِمَامٌ[٩] مُقُشَّب[١٠]، ذِكْرُهُ بَاهِرٌ، وَخَصْمُهُ عَاثِرٌ، وَفِنَاؤُهُ رُحَابٌ، وَدَاعِيهِ مُجَابٌ" قلت: صِفْ لِي نَفْسَكَ، فقال: "لَيْثٌ أَبُو رَيَابِلَ[١١]، رَكَّابُ مَعَاضِلَ، عَسَّافُ[١٢] مَجَاهِل، حَمَّالُ أَعْبَاء، نَهَّاض بِبَزْلاء[١٣]"[١٤].

(١) غشمشم: الجريء الماضي، عزيز النفس. السابق نفسه. مادة (غ ش م).

(٢) مجرجم: مصروع. السابق نفسه. مادة (ج ر ج م).

(٣) جذل: عود ينصب للجربى لتحكك به السابق نفسه. مادة (ج ذ ل).

(٤) حكاك : الجربة تحبس في المنزل لئلا تسرح في الإبل فتعديها، فهي تحتك بأصل ينصب لها لتشفى به في المبرك. وإنما أراد أن نار الحرب قد لوحتنا، فبنا منها ما بهذا الجذل من آثار الإبل الجربى. السابق نفسه. مادة (ح ك ك).

(٥) مدره: المقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال، ورأس القوم والدافع عنهم. لسان العرب. مادة (د ر ه).

(٦) لكاك: الزحام. السابق نفسه. مادة (ل ك ك).

(٧) عشرب: الجريء الماضي، الخشن. السابق نفسه. مادة (ع ش ر ب).

(٨) محرب: شديد الحرب، شجاع. السابق نفسه. مادة (ح ر ب).

(٩) سمام: السم القاتل. السابق نفسه. مادة (س م م).

(١٠) مقشب: القشب بالفتح: خلط السم بالطعام. لسان العرب. مادة (ق ش ب).

(١١) ريابل: من أسماء الأسد والذئب. السابق نفسه. مادة (ر أ ب ل).

(١٢) عساف: ركوب المفازة وقطعها بغير قصد ولا هداية ولا توخي صوب ولا طريق مسلوك. السابق نفسه. مادة (ع س ف).

(١٣) بزلاء: مطيق على الشدائد ضابط لها، يقوم بالأمور العظام. السابق نفسه. مادة (ب ز ل).

(١٤) الأمالي ٥٢/١.

أول ما يلفت المتلقي في هذا الوصف هو أسماء الأبناء(جهم، غشمشم، عشرب)، فلم يقل الكبير والأوسط والصغير كما قالت المرأة في حديث بناتها، فالمرأة مصونة، فصين اسمها عن الذكر صونا لها وحفظا لكرامتها؛ لأن مقام الحديث اختيار الزوج، فحسن ستر أسمائهن إبهاما وتعمية كيلا يطمع فيهن الذي في قلبه مرض، أما في المقامات الأخرى فلا غرو أن تذكر المرأة باسمها، فقد كان – صلى الله تعالى عليه وسلم – يذكر أزواجه بأسمائهن، وكان النساء تعرف بأسمائهن أو كنيتهن، وفي مقام وصف البنوة بالجلد والبسالة ذكرت أسماء الرجال ترميزا إلى القوة، وترهيبا للأعداء قبل تفصيل الصفات، فاستعار الجهم وهو من أسماء الأسد للابن الأول، بجامع القوة والغلظة في كل، على سبيل الاستعارة التصريحية، وكناية عن جدته وغلظته وكلح وجهه وبسوره، والاسمان الآخران( غشمشم، وعشرب) غريبان غامضان، يرمزان إلى ذوات مغلَّفة مخوِّفة غير مألوفة، غامضة صامتة، لا يدركها الوعي الواضح؛ فالتعمد لاختيار صيغ الرباعي والثلاثي المزيد بحرفين مما يتعب تطلبه والتماسه لعدم ألفته بخلاف الثلاثي، وعدم الألفة صنعت مسافة وبعدا بين المألوف وغير المألوف، صدعت المعنى، وفككت الإحساس به، وتحولت صور أصحاب هذه الأسماء إلى صور مموهة مهولة في الخاطر، صادمة للتوقع، غريبة عنا، كأنها غير حقيقية، فيختل الشعور بالواقع، وكأن العالم نفسه أصبح غريبا غير واقعي، فكأن المتلقي بإزاء تماثيل متصفة بصفات الجرأة والمُضي والخشونة، وليسوا أناسا عاديين مثلنا، فإذا أطلقت أسماؤهم أثارت الغرابة والغموض، وطبعي أن يكون رد الفعل والاستجابة لدوال أسمائهم مشاعر مختلطة بالخوف والقلق والحذر، فغشمشم دال يحمل مدلوله صفات القوة والجبروت والاغتصاب والسلب والنزع والتصميم والمضاء، فتقوية اللفظ وتفخيم العبارة عنه بتكرير العين واللام ولّد قوة المعنى وتكرير الفعل والمبالغة فيه، فالشين حرف متفش يفيد انتشار الفعل، والميم حرف قوي مجهور، وهي صفات صوتية تمس المعانى الكائنة في الاسم، وهكذا في (عشرب) فجهارة

العين، وتفشي الشين، وتكرير الراء وغلظة الباء يمس الخشونة والمضاء، والأسماء الثلاثة أسماء مختارة جزلة فخيمة وهي في الحقيقة صوت لانفعال الأب النفسي الذي ملك عليه شعوره؛ ولذا ابتدأ وصفهم بالقسم (وخالقهم لم تقم عَنْ مثلهم منجبة) تأكيدا ومبالغة في تفرد صفاتهم.

افتتح الأعرابي وصف كل ابن له افتتاحا مروعا (جَهْمٌ وما جَهْمٌ!... غَشَمْشَم وما غَشَمْشَم!... عَشَرَّب وما عَشَرَّب!) فحذف المسند إليه احترازا عن العبث بناء على الظاهر مع الإيجاز؛ لتذهب النفس كل مذهب في تخيل صفات التعظيم والتهويل والإبهام والتعجيب، وتمكينا لهذه المعاني فيها، وتشويقا إلى معرفة الخبر، ثم استفهم بـ(ما) زيادة في التفخيم والتعجيب، وأعاد الخبر وكان يمكنه أن يقول: (وما هو) ولكنه أظهر في مقام الإضمار؛ قصدا إلى ما في الأسماء من التخويف والترهيب، كأنه قيل: أتدري ما جهم وما غشمشم وما عشرب؟ أي: ما هو جهم؟ وما هو غشمشم؟ وما هو عشرب؟ فتتعذر الإحاطة بكنههم؛ ولذلك يتساءل عنهم، وهو إحكام فصّله بذكر صفاتهم (يُنْضِي الوَهْمَ، ويصُدُّ الدَّهْمَ، ويَفْرِى الصُّفُوفَ، ويَعُلُّ السُّيُوفَ) اعتمد الأعرابي على الصوت والإيقاع: التوازي (ينضي ويفري، يصدّ ويعلّ)، والمحسن اللفظي الجناس اللاحق(الوهم والدهم) وتسجيع الفقر تسجيعا متوازيا للتعبير عن القوة والبسالة، واتخذ الجرس الصوتي طريقا إلى الإغراب، فاستعمل الكلمات بمعناها الرمزي الذي تشير إليه جرسها، فعبر عن البعير الضخم بـ(الوهم)، قال ذو الرمة[1]:

**قَدْ يَتْرُكُ الأَرْحَبِيُّ الوَهْمُ أَزْكُبُهَا كَأَنَّ غَارِبَهُ يَافوخُ مَأْمُومُ**

(١) ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب، تح: عبد القدوس أبو صالح،٤٠٦/١، ط١، مؤسسة الإيمان جدة، ١٤٠٢ هـ-١٩٨٢م. من قصيدة مطلعها:

**تَمامُ الحَجِّ أَن تَقِفُ المَطَايَا عَلَى خَرقَاءَ واضِعَةِ اللِثامِ**

والوهم من أسماء البعير غير المألوفة، وقصده اختيارا دون غيره من أسماء الإبل نظرا إلى صفته، فالمقام مبالغة وإفراط في الصفة فلا يليق به إلا الكثير المجموع هيئة(خِلقة) وعددا، فالجمل الأربع التي ذكرت في وصف جهم كناية عن عظم خَلْقه وشجاعته وجسارته، فلا يهزل الناقة الضخمة، ويقتحم الصفوف والجموع الغفيرة، ويورد السيوف مرة تلو الأخرى إلا فارس، مسعر حرب، مستطير، في كفه للحرب نار، مجرب، فصفاته حصرت في لقاء العدو، أما غشمشم فجمع في وصفه بين الكرم والشجاعة، وهو أجود، فقال: "مَالُه مُقَسَّم، وقِرْنُهُ مَجَرْجَم، جِذْلُ حِكاكٍ، ومِدْرَه لِكَاك" لم يستعمل الأعرابي الغريب في وصف جهم إلا في كلمة (الوهم)، أما في وصف غشمشم فكل الوصف غريب، وكأنه سيقدم معرفة جديدة ابتكارية وصفات جديدة تتناسب مع الذي لم تقم عن مثله مُنجبة، فقوله: (مالُه مُقَسَّم) كناية عن كرمه، و(قِرْنُهُ مَجَرْجَم) كناية عن قوته وصُرعته، و(جِذْلُ حِكاكٍ) استعارة تمثيلية، شبه شفاء الناس برأيه كما تشتفي الإبل الجربة بالاحتكاك بالعود لتزيل ما عليها وما لزق بها فتشتفي بذلك، وهو كناية عن حكمته، و(مِدْرَه لِكَاك) كناية عن فصاحته، فهو لسان قومه ورأسهم والدافع عنهم عند القتال والخصومة، وعطف الصفات المتناسبة لكمالها في الموصوف، وهو أنسب بمقام الافتخار بالصفات المحمودة، والفخر من المقامات التي تفعم بالانفعالية الزائدة والتغني بالمحامد، وقد تبلور هذا الانفعال في إيقاع موسيقي خاص يصور المشاعر التي صاحبته، فاختار مثلين يفصل بينهما الألف جناسا لاحقا بين (لكاك حكاك)، واختار رباعيا مزيدا بحرف الميم (مجرجم)، ميمه زائده، واتفق أوله وثالثه(الجيم)، واختلف ثانيه ورابعه (الراء والميم) وكأنه يجانس بين حروف الكلمة الواحدة، وهذه الألفاظ والأصوات التي شكلت المعنى ليست إلا رموزا مبهمة لما يحمل الأب في نفسه من معان ومشاعر تشير إلى الصفات ولا تعبر عن حقيقتها.

ابتدأ وصف غشمشم بالكرم (ماله مقسم) وثنى بالشجاعة، أما (عشرب) فابتدأ بالشجاعة وثنى بالكرم، فهو "ليث مُحَرَّب، وسِمَامٌ مُقُشَّب، ذِكْرُه باهر،

وخَصْمُه عَاثِر، وفِنَاؤه رُحَاب، ودَاعيه مُجاب" شبهه بالليث المغضب، وهو أشد ما يكون، ولو اكتفى بوصفه بالليث لأجزأه، ولكن زيادة في التفصيل قيده بالوصف(مُحَرَّب) فانتقل الوصف بالقريب المبتذل إلى الطريف الغريب، وزاد المبالغة في وصفه بالشجاعة والبسالة، وقوله: (وسِمَامٌ مُقُشَّب) من الغريب الذي لا يُعرف مقصوده، وقد سكت القالي عن تفسيره، أسمام من الخفة واللطف، أم من السرعة تشبيها بطائر السمامة الذي يجمع على سمام أم هو من السم القاتل؟ التبيين لا يقتصر على معرفة المعاني اللغوية للألفاظ، فالاقتصار عليها يفقد الكلام روحه ومعناه، ويمكن الاستشهاد للمعنى بالشعر، يقول جرير[١]:

**لَوْ يَقْدِرُونَ بِغَيرِ مَا أَبلَيتُهُم  لَسُقِيتُ كَأْسَ مُقَشَّبٍ مَسْمُومِ**

وهذا دليل على أن المراد بالسمام جمع السم، و(وسِمَامٌ مُقُشَّب) شبهه بأخلاط السموم، وهو كناية عن حدته وجده، أما الصفات التي تصف السماحة والكرم فلم يستعمل الغريب فيها فقال: " ذِكْرُه باهر، وخصمه عاثر، وفناؤه رُحَاب، ودَاعيه مُجاب" فجعل ذكره غالبا على سبيل المجاز العقلي مبالغة في رفعة ذكره، حتى علا ذكره ذكر كل من يفاخر، فالذكر مبهور لا باهر، واستخدم صيغة المبالغة (رحاب) مبالغة في جمعه بين كرم النفس واليد، فكرم النفس سخاؤها في الحرب، وكرم اليد رحابة الفناء وجواب الدعاء، ولما كانت أوصاف الفروع (الأبناء) مما يبهر طلب المتحدث من الأعرابي وصف نفسه، ووصف النفس من أصعب ما يكون، فقال:" "ليث أبو رَيَابل، ركَّاب مُعَاضِل، عَسَّاف مَجَاهِل، حَمَّال أعباء، نَهَّاض بِبَزْلاء" فخر الأعرابي بمن ولد، فشبه نفسه بالليث، وحذف المسند إليه مع تنكير المسند أفاد تفخيما وتبجيلا وثقة وشموخا، وأغمض بعد البيان، فأبدل من المسند إليه بقوله: (أبي ريابل) فالليث معروف، ولكن الريابيل –على

(١) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تح: د. نعمان محمد أمين طه، ٦٥٧/٢، ط٣، دار المعارف . مصر. د. ت. من قصيدة مطلعها:

**ما هاجَ شَوقَكَ مِن عُهودِ رُسومِ  بادَت مَعارِفُها بِذي القَيصومِ**

القياس– غريبة، فخالف القياس بقوله: (ربابل) لتوازي (معاضل ومجاهل) زنة، وإشارة إلى أن هؤلاء الأبناء (الربابل) مخالفون لجنسهم وصفا، وكأنهم نوع غير معهود فخولف قياس اللغة، والأعراب ممن تؤخذ عنهم اللغة، وقد يكون سمع ذلك، ووصفه هذا يؤكد على شجاعة الأبناء وبسالتهم، فهم ليوث أبناء ليث إرثا وطبعا، فقد أخذ الأب نفسه بروح الجد فانتقلت إلى أبنائه اقتداء وسلوكا، وهذا متضمن إغراقا في مدحهم بصفة الشجاعة، فلم يجتهدوا للتخلق بالشجاعة ولم تكن وصفا مستجدا عليهم فقط، بل ورثوه وحافظوا عليه وجعلوه سلوكا وخلقا، وقد سعى الأعرابي إلى إيجاد إيقاع منتظم فأسر نفسه في قيود التماثل والتشابه، فترصيع الأوزان وتكرارها تكررا ثنائيا (ركَّاب مُعَاضِل، عَسَّاف مَجَاهِل)، (حَمَّال أعباء، نَهَّاض بِبَزْلاء) يوحي بامتداد معنى الشجاعة وتصاعدها، وتصارعها في نفسه، فأكد عليها بأوصاف غريبة لغويا في نعت أبنائه، وفي وصف نفسه قدمها على أنها ذو طبيعة متفردة (أنا)، ولكنه أضمرها وسكت عن ذكرها، فحذف المسند إليه من جميع جمل الوصف التي وصف نفسه بها (ركَّاب... عَسَّاف... حَمَّال... نَهَّاض)، وأقام مقامه آلية التكرار والحشد لصيغ مبالغة منتخبة خروجا من أسر الرتابة، وتحقيقا لنفسه من خلالها الغرائب والمميزات، فالوصف بـ(عساف مجاهل) يرمز إلى تعدد مستويات شخصيته وازدواجها، يقودها التعقل أحيانا فتركب المعاضل، وعند غيابه تعتسف المجاهل، وهي ازدواجية تعزز الذات وترضيها وتقويها وتطور قدراتها على أفضل نحو ممكن؛ لشعورها بالغربة والاغتراب في مجاهل الصحراء، والاختلاف لسكنى القفار الموحشة المخيفة، فتتكامل أوصافه؛ لأن رغبته هي تمثيل أكبر جوانب الشجاعة الخارقة في كل مظاهرها المادية(المعاضل والمجاهل) والمعنوية (الأعباء والبزلاء) تمثيلا واقعيا صادقا، وليس رامزا؛ فقد عاش حياة خشنة غير مستقرة، ليس هناك شيء ثابت فيها أو مستقر، فكانت الشجاعة هي المثل الأعلى فيها للتغلب على قوى الطبيعة واعتداءات البشر.

## المبحث الرابع

## وصف العنز

إذا كان الشيء غائبا عن مرأى العين فإنه يُعرف ويُكشف بأوصافه الخاصة به، فإن كان إنسانا فإنه يمزج في تعريفه بين الحسي والعقلي من صفاته، أما الحيوان فلا يعرف إلا بأوصافه الحسية؛ ولذلك فإن الواصف يطنب في حشد جميع الصفات المميزة لشكله ولونه، وقد فقد غلام عنزا فأنشدها قائلا: " حسراءُ[١] مقبلةً، شعراءُ مدبرةً، ما بين غُثْرةِ[٢] الدُّهْسَةِ[٣]، وقُنُوءِ الدُّبْسَةِ[٤]، سَحْجاءُ[٥] الخَدَّيْنِ، خَطْلَاءُ الأُذُنَيْنِ، فَشْقاءُ[٦] الصُّورَيْنِ[٧]، كَأَنَّ زَنَمَتَيْها[٨] تَتْوَا[٩] قُلَنْسِيَةُ[١٠]، يَا لهَاَ أُمَّ عِيَالٍ، وثِمَالَ مال"[١١] استأنف الواصف كلامه فقطع وصفه عن كلام السائل، فحذف المسند إليه(هي) وأضمره في نفسه؛ لغيابه وبُعده، ثم أحل صفاتها الخمس (حسراء، شعراء، سحجاء، خطلاء، فشقاء) محل الإخبار

(١) حسراء: الانحسار الانكشاف. لسان العرب. مادة (ح س ر).

(٢) غثرة: الغبرة والكدرة. السابق نفسه. مادة (غ ث ر).

(٣) دهسة: لون يعلوه أدنى سواد يكون في الرمال والمعز. السابق نفسه. مادة (د هـ س).

(٤) دبسة: لون في ذوات الشعر أحمر مشرب سوادا. والدبس: الأسود من كل شيء. السابق نفسه. مادة (د ب س).

(٥) سجحاء: خدّ أسجح: سهل طويل قليل اللحم واسع. السابق نفسه. مادة (س ج ح).

(٦) فشقاء: بعيدة ما بين القرنين. السابق نفسه. مادة (ف ش ق).

(٧) الصورين: القرنين. السابق نفسه. مادة (ص و ر).

(٨) زنمتيها: الهُنَيَّتان المتعلقتان ما بين لَحي العنز. المزهر في علوم اللغة وأنواعها.أبي بكر عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تح: فؤاد علي منصور، ٤٦٠/٢، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

(٩) تتوا: ذؤابتاها. لسان العرب. مادة (ت ت ا).

(١٠) قلنسية: العمائم من ملابس الرؤوس .السابق نفسه. مادة (ق ل س).

(١١) الأمالي ٣٤/١.

عنها تمييزا وتقريبا لحالها، وإيضاحا وبيانا لخلقتها بصفات حليتها، وإعلام المتلقي من أمرها ما لم يكن يعلم، فالعنز من الحيوانات الأليفة الزهيدة الثمن، جوّف هُيَّم، لا يشبعن ولا يروين، تبهي ولا تبني[١]، ولكنها لما كانت مال الأعرابي وغوثه أغرب في وصفها، فوصف ما يميز هيئتها جملة بوصفين متقابلين (حسراءُ مقبلةً، شعراءُ مدبرة) كناية عن قلة شعر المقدم، وكثرة شعر المؤخر، وكأنه يلحظها في غدوها ورواحها، ثم خصص الوصف بذكر لونها، فقال:(ما بين غُثْرِةِ الدُّهْسَةِ، وقُنُوءِ الدُّبْسَةِ) أي اللون البني المائل إلى الحمرة، وهو تدبيج بالكناية عن عدم خلوص اللون، ثم ترقى فوصف وجهها (سَحْجاءُ الخَدَّيْنِ، خَطْلَاءُ الأُذُنَيْنِ، فَشْقاءالصُّورَيْن، كَأَنَّ زَنَمَتَيْها تَتْوَا قُلَنْسِيَة) إن صورة وجه العنز قريب الاستحضار في مخيلة القارئ ولكن الجهل بالمفردات الغريبة فككت المعنى، وحالت دون الاستمرار في التبيين لما يصف، فأشعر المتلقي بالقلق والاضطراب؛ لتحول المألوف إلى غير مألوف، وكأن الواصف أراد أن يحرر المتلقي من مرجعياته المعروفة، ودفعه إلى تأمل الشيء المختلف؛ ليثير انتباهه، ويجذب اهتمامه نحو التفكير في الشيء الغائب ليحضره، فيحظى بتنفيس الكربة عن المكروب المنشد لضالته، وبكشف المجهول في وعيه وإدراكه، فكان يمكن أن يقول: (سهلة الخدين، طويلة الأذنين في اضطراب، تفرق ما بين قرنيها تفرقا قبيحا[٢]، زنمتاها متدليتان مثل طرفي القلنسوة)، ولكنه أغرب، وفي الإغراب تفرد وجمال ولذة كشف المخبوء، وإيجاز قصر: حيث تنوب الصفة الواحدة عن شرح وإطناب ينوء به مقام الفقد والطلب، كما أن الوصف بالغريب مكّن الواصف من ستر عيوب الموصوف، فسلم بذلك من سخرية الناس ولومهم، خاصة أن العنز بها عيب والناشد حريص عليها؛ ولذلك ختم وصفه بقوله: (يَا لهَاَ أُمَّ عِيَالٍ، وثِمَالَ مال) فندبها متحسرا لحاجة أولادها إليها، وكونها غياثه ومطعمه في الشدة.

(١) ينظر الحيوان٥/ ٢٤٥.

(٢) الفشق من عيوب قرن العنز. ينظر الشاء. أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، تح: د. صبيح التميمي، ص٨٩، ط١، دار أسامة – لبنان ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

## المبحث الخامس

## وصف الفرس

لم يكن الوصف ترفا لغويا، وإظهار مقدرة على المحاكاة والإبداع، ولكنه تعبير عن الإنسانية والحياة، يجد فيه الإنسان متنفسا عن انفعالاته وشعوره، وفي أمالي القالي نماذج مختارة من غريب الوصف لم يملها تسلية وقطعا للفراغ، ولكنها نماذخ منتقاة، نفعية، اختيرت بوعي وقصد، تصور حقائق، وتحل مشكلات، فوصف اختيار الزوج يكشف عن أخلاق المرء وميوله الخفية، وإعراب عن الحاجة التي يقبل المرء بسببها على الزواج، ووصف العنز وسيلة للتعريف بالضالة، ووصف الفرس هنا وسيلة تواصل معرفي بين ابن وأم ممتعة بعينيها، " ابتاع شاب من العرب فرسا، فجاء إِلَى أمه وقد كُفَّ بصرها، فقَالَ: يا أمى، إنى قد اشتريت فرسا، فقَالَت: صفه لى، قَالَ: إذا استقبل فظبى ناصب، وإذا استدبر فهِقْلٌ(١) خَاضِبٌ، وَإِذَا اسْتَعْرَضَ فَسَيِّدٌ(٢) قَارَبٌ(٣)، مُؤَلَّلُ(٤) المِسْمِعَيْنِ(٥)، طَامِحُ(٦) النَّاظِرَيْنِ، مُذَعْلَقُ(٧) الصَّبِيَّيْنِ(٨)، قَالَت: أَجْوَدْتَ إِنْ كُنْتَ

(١) هِقْلٌ: الفتي من النعام. لسان العرب. مادة (هـ ق ل).
(٢) سيّد: السيد: الذئب، وفي لغة هذيل: الأسد. السابق نفسه. مادة ( س و د).
(٣) قارب: ويقال للشيء إذا ولى وأدبر: تقارب. السابق نفسه. مادة (ق ر ب).
(٤) مؤلل: حاد. السابق نفسه. مادة (أ ل ل).
(٥) المسمعين: الأذنان. السابق نفسه. مادة (س م ع).
(٦) طامح: مرتفع مشرف. السابق نفسه. مادة (ط م ح).
(٧) مذعلق: نبات في البادية. السابق نفسه. مادة (ذ ع ل ق).
(٨) الصبيين: طرفا اللحيين للبعير وغيره. السابق نفسه. مادة (ص ب ي).

أَعْرَبْتَ، قَالَ: إِنَّهُ مُشْرِفُ التِّلِيلِ[١]، وسَبْطُ الخَصِيلِ[٢]، وَهْوَاهُ[٣] الصَّهِيلِ، قَالَت: أَكْرَمْتَ فَارْتَبِطْ[٤]."[٥].

إذا اشترى شخص شيئا فقد اختاره واصطفاه دون غيره؛ ولذلك فإنه يعتز به ويجلّه؛ لأنه صنعه بنفسه دون نظر إلى حاجته إليه، فهو ينظر إلى أنه اختياره هو، فالاختيار قطعة من ؛ اختيار عقله، فيبالغ في تجويده وتحسينه وتزيينه في أعين المحيطين به ثناء على المشترَى وعوضا عن الثمن المدفوع فيه، وتعزيزا للثقة بالنفس، وكان من عادة العرب اقتناء الخيول الجيدة وإكرامها وصونها وتفضيلها على أنفسهم في الغذاء والشراب، قال عمرو بن مالك[٦]:

**وَسَابِحٍ كَعُقَابِ الدَّجْنِ أُجْمِلُهُ  دُونَ العِيَالِ لَهُ الإِيثَارُ وَاللُّطَفُ**

لما كان لهم فيها من القوة والمنعة والظفر على العدو، والزينة والجمال في الرواح والإسامة، وقد اشترى شاب فرسا فأخبر أمه لتُسَر بذلك وكانت ممتعة بعينيها، فلم تكتف بأن تباركه وتسر بذلك، بل أرادت أن تمتحن اختياره فطلبت منه أن يصفه، فأراد الشاب أن يظهر حذقه ومهارته في الشراء بالإغراب في

(١) التليل: العنق. السابق نفسه. مادة (ت ل ل).

(٢) الخصيل: والخصيلة: كل لحمة على حيزها من لحم الفخذين. وكل لحم من عصبة ، وقيل: الخصيلة كل ما انماز من لحم الفخذين. السابق نفسه. مادة (خ ص ل).

(٣) الوهواه: هو الصوت الذي يكون في حلق الفرس آخر صهيله، وهي دقة في صوته يضغطه غير أن ذلك من خلقة لا يستعين فيه بمنخريه. السابق نفسه. مادة (و ه و ه)، والخيل ص١٣٤.

(٤) ارتبط : الزم، والرباط في الأصل: الإقامة على جهاد العدو بالحرب. السابق نفسه. مادة (ر ب ط).

(٥) الأمالي١/٤١.

(٦) كتاب الخيل. أبو عبيدة معمر بن المثنى، ص٣، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن. الهند ١٣٥٨هـ .

وصف الفرس، فوصف هيئته الكلية أولا حال الاستقبال والاستدبار والاستعراض على عادة الشعراء في وصف الفرس(١)، فقال: "إذا استقبل فظبى ناصب، وإذا استدبر فهِقْلٌ خاضِب، وإذا استعرض فسيّدٌ قارب"، فشبهه بأجود صفات الحيوان لبيان مقداره من القوة والجودة، والتشبيه كشف وبيان وقياس، ولكنه أغمض، فشبه طول عنقه بالظبي الناصب حال مقدمه، وطول العنق من صفات الحسن في الفرس، وشبه هيئته مدبرا بالنعام الخاضب الذي احمر حرف ساقه من قُدُم، وقوله: (خاضب) من المجاز العقلي علاقته المفعولية، فالنعام مخضوب ريشه، وليس خاضبا، وكذلك (ناصب) فالغزال منصوبة عنقه، وليس ناصبا لها، وخصص وصف قدم النعام بالذكر؛ ناظرا إلى أن طول رجلها ودقتها هو سبب سرعتها وقوتها في العَدْو، وشبهه بالذئب (السيد) في تقاربه " ومما يشبه منه [الفرس] بخلق الذئب حتى يقال كأنه هو شنج نساه وعسلاته وسائر ذلك من خلقه"(٢)، فخص من صفات الذئب عَسْلَه(٣) في تقاربه(إقباله وإدباره)، وهو كناية

(١) يقول امرؤ القيس في وصف فرسه:

**ضَلِيعٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدّ فَرْجَهُ بِضَافٍ فُوَيقَ الْأَرْضِ لَيسَ بِأَعْزَلِ**

من معلقة امرئ القيس ومطلعها: قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمِنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوى بَينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ. ديوان امرِئ القيس ابن حجر بن الحارث الكندي، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ص٥٩، ط٢، دار المعرفة – بيروت، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

وقال الأسعر بن حمران الجعفي، الخيل، ص ٩٩

**أَمَــا إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ فَـكَـأَنَّهُ بَازٍ يُكَفْكِفُ أَنْ يَطِيرَ وَقِدْ رَأَى**

**أَمَا إِذَا اسْتَعْرَضْتَهُ مُتَمَطِّرًا فَتَقُولَ هَذَا مِثْل سِرْحَانِ الغَضَا**

**أَمَا إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ فَتَرَى لَهُ سَاقا قَمُوَصَ الوَقْعِ عَارِيَةِ النَّسَا**

(٢) الخيل ص١٠٠ وما بعدها.

(٣) عسل الذئب والثعلب: مضى مسرعا واضطرب في عدوه وهز رأسه. لسان العرب. مادة(ع س ل).

عن اضطرامه في عدوه، فيهز كتفه، ويخفق برأسه، ولم يكتف بهذا فأكمل وصفه مغربا، يقول: "مُؤَلَّلُ المِسْمِعَيْن، طَامِحُ الناظرين، مُذَعْلَقُ الصَّبِيَّيْن" فوصف أذنيه وعينيه ولحييه، فتأليل المسمعين حدتهما وانتصابهما، وهو كناية عن عتقه، يقول طرفة في وصف أذن الناقة(١):

**مُؤَلَّلَتَانِ يُعْرَفُ العِتْقُ فِيهِمَا كَسَامِعَتَيْ شَاةٍ بِحَوْمَلِ مُفْرَدِ**

وقوله: (طَامِحُ الناظرين) وهي من صفات الجودة أيضا، كناية عن حدة طرفه وسموه، قال المزرد أخو الشماخ في وصف الفرس(٢):

**يُرَى طَامِحَ العَيْنَيْنِ يَزْنُو كَأَنَّهُ مُؤَانِسُ ذُعْرٍ فَهْوَ بِالأُذْنِ خَاتِلُ**

وقال أبو دؤاد في سمو عين الفرس وحدتها:

**طَوِيلٌ طَامِحُ الطَّرْفِ إِلَى مَفْزَعَةِ الكَلْبِ(٣)**

أما قوله: ( مُذَعْلَقُ الصَّبِيَّيْن) فمن إضافة المشبه به للمشبه، شبه لحيي الفرس بنبات الذعلوق، في الخصب والنعومة والليونة والسِمَن، والجمع بين هذه الصفات مراعاة نظير، وخلوها عن الواو لاجتماعها في هذه الفرس وكأنها صفة

---

(١) من معلقة طرفة بن العبد ومطلعها:

**لِخَولةَ أَطْلالٌ بِبُرقَةِ ثَهمَدِ تَلوحُ كَباقي الوَشْمِ في ظاهِرِ اليَدِ**

ديوان طرفة بن العبد. أبي عمرو طرفة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري، تح: مهدي محمد ناصر الدين، ص٢٣، ط٣، دار الكتب العلمية،١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

(٢) من قصيدة مطلعها:

**صَحَا القلبُ عن سَلْمَى ومَلَّ العَوَاذِلُ وما كادَ لأْيًا حُبُّ سَلْمَى يُزَايِلُ**

المفضليات. المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، تح:أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، ص٩٦، ط٦، دار المعارف – القاهرة. د. ت.

(٣) أدب الكاتب.أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: محمد الدالي، ص١١٠ ، مؤسسة الرسالة. د. ت.

واحدة، فالعين رقيب على السمع، فإذا سمعت صوتا تنظر، والسمع يراقبه البصر، وهو فرس شاب قوي ناعم، وهذه الصفات غريبة غير متداولة تحتاج تنقير المعاجم وفليها، واستظهارا للشعر الجاهلي الرصين؛ ولذلك كان جواب الأم حينما سمعت هذه الصفات جوابا مشحونا بالسخرية مفعما بالتهكم: "أَجْوَدْتَ" ثم احترست بـ" إن كنت أعْرَبْتَ" مغالطة بعد إسجال، فـ(إن) بمعنى (لو)، فأقرت كلامه، وحكمت عليه بالجودة ثم ذمته؛ لعدم إفصاحه عن الموصوف وبيانه وكشفه، وفحوى كلامها نفي الفهم، ويجوز أن يكون الكلام من أسلوب الحكيم، بأن صرفت الشاب عن الإغراب، فلم تعلق على قوله بالذم والاستهجان بل أرشدته وهدته إلى البيان والإفصاح ليجود منطقه، والوجه الأخير هو الذي يرجحه السياق لقول الشاب على الفور "إنه مُشْرِفُ التِّلِيل، وسَبْطُ الخَصِيل، وَهْواهُ الصَّهيل، قَالَت: أكرمْتَ فَارْتبطْ" ففسر الصفات التي أغرب بذكرها (إذا استقبل فظبى ناصب) وفرع على ذلك صفتين هما (مُؤَلَّلُ المِسْمِعَيْن، طَامِحُ الناظرين)، فعدل عنهم إلى قوله: "إنه مُشْرِفُ التِّلِيل" كناية عن طول عنقه وانتصابها، (وسَبْطُ الخَصِيل) كناية عن طول ساقه، وعدول عن (إذا استدبر فهِقْلٌ خاضِب)، أما قوله: (وَهْواهُ الصَّهيل) كناية عن نشاطه وقوته، وهنا يرد تساؤل إذا كانت الأم فهمت الغريب فلماذا طلبت منه العدول عنه إلى الإعراب والبيان؟ هل رأت أن التعبير بالغريب عيب فطلبت الإفصاح؟ لقد لجأ الابن إلى استثارة خيال الأم وتنشيطه عن طريق صور متعاقبة، فشبه الفرس بحيوانات أخرى(الظبي والهقل والسيد) تحتاج كشفا وتصويرا ووصفا، فاحتاج وصفه وصفا، لقد أضاف وصفه الغريب حالة وحشة وغموض وجهل إلى ذلك الإدراك الخاص لدى الكفيف، فالكفيف يقبع في ظلام يفتقر معه إلى الوضوح والإفهام والتصور والتخيل، وهو في حال توق إلى الآخر ليصل إلى الصورة عن طريق الوصف الكاشف، ولكن الأم لم تشعر بالألفة في لغة ابنها بل شعرت بغربة واغتراب ومراوغة؛ لشعورها بفشل لغته عن التمثيل لما تدركه، وعجزها عن مواجهة الغريب بسبب الطريقة

المقلقة التي تقفز من صورة إلى أخرى، فالابن يجنح إلى المثالية بإبراز صفات التفوق والسبق والحسن، والأم تريد الواقعية وصولا إلى اليقين؛ ولذلك تفاعلت مع الوصف ونقدته نقدا مجملا (أجودت إن كنت أعربت)، وعندما عدل عن الغريب إلى وصف مجمل كاشف استطاعت أن تقيم روابط بين الصورة المتخيلة والوصف القولي الكاشف، فتنمو الصورة في مخيلتها وتتكامل حتى يكون لها من القوة على استحضار الغائب، وتعويض الفقد، وإيجاد بدائل للرؤية؛ ولذلك أزاح الابن الغريب المستوحش وأحل محله المؤنس فأجمل في الوصف متلطفا وكأنه يعتذرا لأمه عما أوحشها، فأُثلج صدرها، فقالت:(أكرمْتَ فَارْتبطْ) لإفادتها حقيقة الفرس بمعرفة جميع أحواله على الجملة، وقولها:(ارتبط) استعارة تصريحية تبعية، حيث شبه إقامة الخيل في الثغور إعدادا للأفعال الصالحة والجهاد بالرباط، والارتباط هنا تجاوز القيمة الفردية للفعل، وارتفاع الأنا إلى التعميم بكون الفعل المأمور به إنسانيا، فالغرض وراء شراء الفرس هو النفع الفردي بالركوب والجماعي بالجهاد.

## المبحث السادس

## وصف البيت

عنوان المبحث موهم، فما يندرج تحته ليس منه، فالبيت اسم جنس، ووصفه وصف لمكان يشغل حيزا من الأرض يُحد بحدود تميزه عما سواه، وذكر لطرائقه، وتقديره حجما وطولا وعرضا، وتعريف أسبابه وأوتاده، ورواقه وفنائه، وقرنته وبهوه، ولكنه وُصف بأفراسه في قول الغلام:

"خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ العَرَبِ فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ طَالِبًا حَاجَةً، فَدَخَلَ فِي الحِلِّ فَطَلَبَ رَجُلًا يَسْتَجِيرُ بِهِ، فَدَفَعَ إِلَى أُغَيْلِمَةٍ يَلْعَبُونَ، فقَالَ لهُمْ: مَنْ سَيِّدُ هَذَا الحِوَاءُ[١]؟ فقَالَ غُلَامٌ مِنْهُمْ: أَبِيهْ قَالَ: وَمَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: بَاعِثُ بْنُ عُوَيْصٍ العَامِلِيّ، قَالَ: صِفْ لِي بَيْتَ أَبِيكَ مِنَ الحِوَاءِ، قَالَ: بَيتٌ كَأَنَّهُ حَرَّةٌ[٢] سَوْدَاءُ، أَوْ غَمَامَةٌ حَمَّاءُ[٣]، بِفِنَائِهِ ثَلَاثَةُ أَفْرَاسٍ، أَمَّا أَحَدُهَا: فَمُفْرِعُ[٤] الأَكْنَافِ، مُتَمَاحِلُ[٥] الأَكْنَافِ[٦]، مَاثِلُ[٧] كَالطِّرَافِ[٨]. وَأَمَّا الآخَرُ: فَذَيَّالٌ جَوَّالٌ صَهَّالٌ، أَمِينُ الأَوْصَالِ[٩]، أَشَمُّ القَذَالِ[١]. وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَمُغَارٌ[٢] مُدْمَجٌ[٣]، مَحْبُوكٌ[٤] مُحَمْلَجٌ[٥]،

---

(١) الحواء: اسم المكان الذي يحوي الشي ويجمعه، وهو بيوت الناس من الوبر مجتمعة على ماء. لسان العرب. مادة (ح و ي).

(٢) حرة: أرض صلبة غليظة ألبست حجارة سود نخرة كأنها مطرت. السابق نفسه. مادة (ح ر ر).

(٣) حماء: الأسود من كل شيء. السابق نفسه. .مادة (ح م م).

(٤) مفرع: عال مشرف عريض. السابق نفسه. مادة (ف ر ع)

(٥) متماحل: طويل. السابق نفسه. مادة (م ح ل).

(٦) الأكناف: النواحي. السابق نفسه. مادة (ك ن ف).

(٧) ماثل: منتصب. السابق نفسه. مادة (م ث ل).

(٨) الطراف: بيت من أدم أو شعر. السابق نفسه. مادة (ط ر ف)

(٩) الأوصال: العظام التوام بما عليها من اللحم، وقيل: المَفْصِل ومجتمع العظام. ينظر المقصور والممدود. أبو علي القالي إسماعيل ابن القاسم، تح: د. أحمد عبد المجيد هريدي، ص٥٩، ط١، مكتبة الخانجي ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.

كَالْقَهْقِرِ[٦] الأَدْعَجِ[٧]. فمضى الرجل حتى انتهى إِلَى الخباء فعقد زمامَ ناقته ببعض أطنابه وقَالَ: يا باعثُ، جارٍ علقت علائقه، واستحكمت وثائقه، فخرج إِلَيْهِ باعث فأجاره"[٨].

لم يسأل الرجل الغلام عن الطريق، وإنما طلب الوصف ليكشف له عن المميزات والعلامات، وقد جاء وصف الغلام غريبا، ولا يمكن القول إن ذلك لغرارته، وكونه مهموما باللعب؛ لأن الرجل بغته وهيأه بالسؤال، فصرفه عن اللعب، واستجمع ذهنه، فسأل عن علم مشهور يعرفه الجميع (من سيد هذا الحواء؟)، فأجاب الغلام إجابة موجزة (أَبِيهْ) ترمز إلى غلام واع بمجتمعه ومحيطه، فيحتمل أن رأى أباه مترئسا أهل حوائه، أو حضر ناديهم، كما أنه لم يخش الغريب وأجاب واثقا، فطلب منه الرجل أن يصف بيته، فقال: (بَيتٌ كَأَنَّهُ حَرَّةٌ سَوْدَاءُ، أَوْ غَمَامَةٌ حَمَّاءُ) لم يقل: هو بيت أو ذاك بيت أو بيتنا بل أضمر المسند إليه ونكر المسند، وهو مسلك مطروق عند ذكر المنازل والديار[٩]، الواصف غلام مميز يتكلم بلسان أهله وقومه على سجيته ولم يقصد إلى سبك

---

=

(١) القذال: جماع مؤخر الرأس. لسان العرب. مادة (ق ذ ل).

(٢) مغار: شديد الفتل. السابق نفسه. مادة ( غ و ر).

(٣) مدمج: قوي، مداخل كالحبل المحكم الفتل. السابق نفسه. مادة (د م ج).

(٤) محبوك: مستو. السابق نفسه. مادة (ح ب ك).

(٥) محملج: شديد الطي والجدل. السابق نفسه. مادة (ح م ل ج).

(٦) القهقر: الحجر الأملس الأسود الصلب. السابق نفسه. مادة (ق هـ ق ر ).

(٧) أدعج: شدة السواد. السابق نفسه. مادة (د ع ج).

(٨) الأمالي ١/ ٥٧.

(٩) ينظر دلائل الإعجاز.عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر، ص ١٤٧، ط٣، مطبعة المدني بالقاهرة،١٤١٣هـ . ١٩٩٢م.

معين، جل همه إبلاغ الرجل بما يريد، فالحذف والتنكير بمنزلة عرف لغوي، فذكر الديار يستدعي في الأذهان الحذف، ويثور في نفس المتكلم والمخاطب إزاء هذا الحذف انفعالات شتى، فالمتكلم/ الواصف يشعر بغربة واغتراب عن البيت لعدم حلوله فيه وقت وصفه، فهو بعيد من نفسه فنكره، فوصفه مجلى مقاله ومقامه (حاله)، والمتكلم غريب عن الدار وعن مكانها، جاهل بأهلها، وهذه المعاني المستنبطة هي وظيفة التنكير، وهي وظيفة ذات بعدين: الأول: صوتي؛ لزيادة صوت نون التنوين نطقا على كلمة (بيت)، والوقف بعدها سكوتا، والثاني: معنوي، فالتنكير: تجهيل، وعدمية قصد، وتوجس خيفة، والنكر: نعت للأمر الشديد[١]، فانعدم تمام المعنى لجهل المخاطب، ثم يرد التشبيه؛ لتمثيل ما لم يتلق معناه من لفظه في مخيلة السائل انتهاء إلى وصف تسكن نفسه إليه (كَأَنَّهُ حَرَّةٌ سَوْدَاءُ، أَوْ غَمَامَةٌ حَمَّاءُ)، فشبه البيت بأرض صلبة ذات حجارة سوداء، بجامع الصلابة والسواد في كل، تشبيه مقيد بالوصف (سوداء)، فالسواد من طبيعة أحجار الحرة ولكن الغلام خصصه بالذكر مبالغة في شدة سواده، فقد يكون هذا البيت مصنوعا من حجارة ومع نزول المطر عليها تزداد سوادا إلى جانب انعدام الضوء داخلها فتبدو أكثر سوادا، وهو مطلوب مقصود إليه؛ فكون الأرض حرة غليظة مانعا غزو الأعداء ووطء الخيول أرضهم، وكونها سوداء كناية عن ظلمتها، فتكون أرهب وأخوف، تشبيه جار مجرى المثل " فيكون أبلغ في الوصف "[٢]، ثم زاد الوصف تفصيلا فجمع إليه وصفا آخر زيادة إيضاح وكشف، فقال: (أَوْ غَمَامَةٌ حَمَّاءُ) شبه البيت بالغمامة السوداء، بجامع الستر والتغطية في كل، فالبيت يُكنّ ويستر من أذى الحر والقر، والغمام يستر السماء، وهو تشبيه مقيد

(١) ينظر لسان العرب. مادة (ن ك ر).

(٢) الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٢/ ٢١٤، ط٣، دار الفكر العربي. القاهرة١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

بالوصف أيضا لزيادة الفائدة وتخصيصها في نفس الرجل، والتقييد بـ(حماء)، أي: السوداء ترهيب وتخويف؛ فالغمام الأسود مذموم؛ ولذلك استعمل الشعراء الغمام الغُر أو الأبيض في المدح، قال أبو الطمحان القيني في مدح يزيد بن عبد الملك من الطويل(١):

**يَكَادُ الغَمَامُ الغرُّ يَرْعَدُ إِنْ رَأَى مُحَيّا ابنِ مروانَ وَيَنهَلُّ بَارِقُه**

وقال ذو الرمة(٢):

**تَسْتَنُّ أَعْدَاءَ قِرْيَانٍ تَسَنَّمَهَا غُرُّ الْغَمَامِ، وَمُرْتَجَّاتُهُ السُّودُ**

وقد لا يكون القصد من وصف الغمام بالحمم التخويف ولكن يقصد إلى بيان حال المشبه (البيت)، ومحاكاة لونه، فيمكن أن يكون البيت من الأدم أو الشعر الأسود، ويبدو أن البيوت كلها كانت على شاكلة واحدة؛ ولذلك ترقى في الوصف وزاد التفصيل تمييزا لبيته عن بيت غيره، فقال: (بِفِنَائِهِ ثَلَاثَةُ أَفْرَاسٍ)، وكان يمكنه الاجتزاء بالعدد، ولكنه فصل وصفهم فقال:(أَمَّا أَحَدُهَا: فَمُفْرِعُ الأَكْتَافِ، مُتَمَاحِلُ الأَكْنَافِ، مَاثِلُ كَالطِّرَافِ) وهو كناية عن إشراف كتفيه وطول عنقه وقوائمه وإطراف أذنيه، أي: مشترف عظيم طويل، يكثر لحمه في شدة ويكون شهما ذكيا(٣)، وأبان التشبيه عن مقداره في الصفة والمبالغة فيها، وأوجد ائتلافا بين مختلفين، فشبه انتصاب قامته بانتصاب البيت المصنوع من

---

(١) العقد الفريد ٧/ ٤١.

(٢) ديوان ذي الرمة شرح الباهلي٢/ ١٣٦٥ من قصيدة مطلعها:

**يَا دَارَ مَيَّةَ لَمْ يَتْرُكْ لَنَا عَلَمَا تَقَادُمُ العَهْدِ وَالهُوجُ المَرَاوِيدُ**

(٤) ينظر الخيل ص ٣٠.

(٥) ديوان البحتري، تح: حسن كامل الصيرفي، ١/١٧٤٤، ط٣، دار المعارف. د. ت، من قصيد مطلعها:

**أَهْلًا بِذلِكُمُ الخَيَالِ المُقبِلِ فَعَلَ الَّذِي نَهْوَاهُ أَوْ لَمْ يَفعَلِ**

الأدم، بجامع الضخامة والطول في كل، وتصوير الفرس بالبيت معروف، قال البحتري:

**كَالهَيكَلِ المَبْنِيِّ إِلَّا أَنَّهُ فِي الحُسْنِ جَاءَ كَصُورَةٍ فِي هَيْكَلِ**

فعقد الغلام علاقة بين الفرس والبيت، وكأن الفرس جزء من محيط البيت وهيكله، فتصوير الفرس تصوير للبيت وكأنهما بنية واحدة، فالفرس رمز القومية، ووصفه أدب قومي، والصفات الثلاث التي ذكرها صفات حسن في الفرس[١]، ثم انتقل إلى وصف الفرس الثاني فقال:(وَأَمَّا الآخَرُ: فَذَيَّالٌ جَوَّالٌ صَهَّالٌ، أَمِينُ الأَوْصَالِ، أَشَمُّ القَذَالِ) فبالغ وأفرط في وصفه باستعمال صيغ المبالغة وأفعل التفضيل، وقطع الصفات يفيد اجتماعها فيه في حال واحدة، وهي كذلك فيه، وركز على الصورة المرئية (ذَيَّالٌ، أَمِينُ الأَوْصَالِ، أَشَمُّ القَذَالِ)، والحركية(جَوَّالٌ)، والسمعية (صَهَّالٌ)، وهي صفات شُهر بها الفرس وعُرف، فإذا أطلقت دلت عليه دون حاجة إلى ذكره، فالصفة تعريف للموصوف، وإغناء عن ذكره، فـ(أَمِينُ الأَوْصَالِ) كناية عن قوة مفاصله وتمامها، و(أَشَمُّ القَذَالِ) كناية عن طوله، وعدم غرابة الصفات مكّن من تخيل الموصوف وإحضاره بالذهن، وهي صفات مطروقة، تدولت في الشعر، قال سويد بن أبي كاهل اليشكري [٢]:

**وَكَرِيمٌ عِنْدَهَا مُكْتَبَلٌ غَلِقٌ إِثْرَ القَطِينِ المُتَّبَعْ**

**فَكَأَنِّي إِذْ جَرَى الآلُ ضُحَى فَوقَ ذَيَّالٍ بِخَدَّيْهِ سُفَعْ**

---

(١) ينظر الخيل ص ١٨.

(٢) المفضليات. المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ص١٩٦، ط٦، دار المعارف. د.ت.

من قصيدة مطلعها:

**بَسَطَتْ رَابِعَةُ الحَبْلَ لَنَا فَوَصَلْنَا الحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعْ**

وقال امرؤ القيس(١):

**وَلَمْ أَشْهَدِ الخَيلَ المُغِيرَةَ بِالضُّحَى عَلَى هَيْكَلٍ عَبْلِ الجُزَارَةِ جَوَّالِ**

وقال الراجز(٢):

**بِكُلِ طِرْفٍ أَعْوَجِي صَهَّالِ يَمْشِي إِذَا مَا قُيِّدَ مَشْى المُخْتَالِ**

وأكثر من الوصف المرئي؛ لأن الفرس مرابطة أمام البيت، فيتمكن من رؤيتها، أما عند جريها فلا يمكن ملاحظة أجزائها، وكذلك صهيلها سرعان ما يتلاشى، وهذه الصفات المحسة تؤول وتلوح إلى قيم روحية ومعنوية تسقط على أهل الحواء، وتستدعي صفات الصحة والقوة والشجاعة، فلا يمكثون في بيوتهم- ولذلك أشار إليها الغلام إشارة خاطفة (حرة سوداء أو غمامة حماء)- بل إقامتهم الحقيقية على ظهور هذه النجائب؛ ولهذا ارتبط أمام البيت ثلاثة منها مختلفة الشكل، متنوعة الوصف، مستبدة بدواعي الغلبة، مجلاة لمواقف البطولة الشامخة، فالفرس في العربية متعدد الصفات والأسماء، وكأن كمالها المحس يقتضي كمالها المعنوي، وتستوجبه وظيفتها السامية " وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱستَطَعتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلخَيلِ تُرهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُم" (الأنفال: ٦٠) فهي معقل القبيلة وحصنها، ومجنى الأجر والمغنم، تكشف الدُجى، وتُنجي من الغما.

ثم فصل الغلام بذكر صفات الفرس الثالث فأغرب في وصفه قائلا: (وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَمُغَارٌ مُدْمَجٌ، مَحْبُوكٌ مُحَمْلَجٌ، كَالقَهْقَرِ الأَدْعَجِ) لم يطلب السائل نعت الأفراس، ولكنها علامة ميزت بيت سيد الحواء فاقتضى ذلك وصفها، فقوله: (فَمُغَارٌ مُدْمَجٌ، مَحْبُوكٌ مُحَمْلَجٌ) كناية عن قوة جسد الفرس، وشدة بدنه، ووثاقة

(١) ديوان امرئ القيس ص١٣٨من قصيدة مطلعها:

**أَلَا عِمْ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِي وَهَلْ يَعِمْنَ مَنْ كَانَ فِي العُصُرِ الخَالِي**

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تح: السيد أحمد صقر، ١/ ١٤٢، ط٤، دار المعارف. د. ت.

خَلْقه وجدلـه، واجتماعـه وإحكامـه واكتنـازه، وشـدة أسـره، وإتقـان صـنعه، وإجـادة نسـجه مـع اسـتواء وارتفـاع أدمـج فيـه حسـن منظـره، يقـول أبـو دُؤَاد فـي وصـف الفرس المفتول(١):

**وَهْوَ طَاوٍ أَقَبُّ كَالمَسَدِ المُدْ مَجِ عَارِي الشَّوَى مُمَرٌّ مُغَارُ**

ويقول امرؤ القيس(٢):

**فَغَدَا بِمُنْجَرِدِ القَوَامِ مُحَمْلَجٍ عَبِدِ الشَّمَائِلِ حَنْبِلٍ ضَبَسِ**

ويقول(٣):

**فَلَأْيًا بِلَأْيٍ مَا حَمَلْنَا غُلَامَنَا عَلَى ظَهْرِ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ مُحَنَّبِ**

فالجمع بين هذه الصفات الغريبة مراعاة نظير، والقصد إليها تكثير لوجوه القوة، وتعديد لمواطنها، وبلوغها الغاية البعيدة، وقطعت عن العاطف؛ لاجتماعها في الفرس اجتماعا مؤزرا يفضي إلى الكمال والتمام، ورغم غرابة هذه الصفات عنا(٤) إلا أنها تدولت في شعر الجاهليين كما سبق ذكره، ووردت على لسان

---

(١) المنتخب من غريب كلام العرب. أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، تح: د. محمد بن أحمد العمري، ص٦٢٤، ط١، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي. جامعة أم القرى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

(٢) ديوان امرئ القيس، ص٦٩١ من قصيدة مطلعها:

**إنَ الخَليطَ نَأوكَ بِالأمْسِ وَاسْتَيْقَنَتْ بِقِرَانِهِمْ نَفْسِي**

والجيم. أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني، تح: إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد،١٣١/٣، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م.

(٣) ديوان امرئ القيس من قصيدة مطلعها:

**خَليلَيَّ مُرّا بي على أُمِ جُنْدَبِ نُقَضِّ لُبَانَاتِ الفُؤادِ المُعذَّبِ**

(٤) فسر القالي بعض ما سرده الغلام من أوصاف غريبة في سطرين في أربع صفحات من القطع الطوال.

غلام وكأنه عامي مشترك، وجلي ظاهر، وعرف لغوي سائد؛ لأن الصفات الموسوم بها الفرس لا صنعة فيها، ولا احتفال أو تخييل يروع السامع ويروقه، وكأن العرب اكتفت بغرابة اللفظ، وزيادة بنيته في بعض المواضع، ووجازته في الإفصاح عن هيئات وأشكال وأحوال دون بيان بالعبارة عن التفنن في التصوير والتخييل، ويرد التشبيه خاتمة لهذه الصفات ليس تخييلا ولكنه ترق في الوصف لبيان مقدار الشدة والقوة واللون، وبلوغ الغاية في ذلك، وزيادة تثبيت وتوكيد وتقرير للمزية والفضل على غاية المبالغة حتى لا يتصور بعده زيادة، فقوله: (كَالَقْهَقِرِ الأَدْعَجِ) شبّه الفرس بالحجر الصلد الأسود بجامع الاجتماع والصلابة والملاسة والسواد في كل، تشبيه مقيد بالوصف، والاجتزاء بالقهقر كاف؛ لتمام المعنى، فهو وصف جامع للكم والكيف، صلابة واجتماع، وملاسة في سواد، ولكنه زاد المعنى حسنا وتوكيدا، فقيد وخصص وأوغل بـ(الأدعج) زيادة في المبالغة في الوصف بالسواد، وأدخل في التشبيه، وهو وصف لم يرد في ألوان الخيل في المصادر المعروفة، يقال للفرس الشديد السواد: (أدهم غيهب)[1]، ولكن الغلام عبر بـ(الأدعج) جمعا بين نقاء اللون وحسنه، فالدعج صفة حسن يوصف بها جمال العين، فأضاف وصفا جديدا غير التقليدي المعروف، وتصوير الشبه من الفرس في غير شكله وجنسه بديع طريف معجب، وقد قال امرؤ القيس في هذا المعنى[2]:

**مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ**

وهنا يرد تساؤل: لقد افتتح الغلام بذكر اللون الأسود صراحة(حرة سوداء) وكنى عنه بـ(غمامة حماء)، وختم به (القهقر الأدعج) فما دلالته عنده؟ هل لذلك

(١) ينظر الخيل ص١٠٣ وما بعدها.

(٢) ديوان امرئ القيس، من قصيدة مطلعها:

**قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ**

علاقة بإحساسه بجو المكان حيث تسيطر عليه وحشة الصحراء وظلمتها، وتلفه الهواجس والمخاوف والقلق[١] ؟ آلختلاف لون الفرس الثالث عن الآخرَيْنِ أم كان هذا اللون قليلا وجوده في أفراسهم أم أن هذا النوع من الأفراس الدهمة أكثر صلابة وجلدا؟ الاحتمال الأخير أقرب؛ لدلالة الصفات (فَمُغَارٌ مُدْمَجٌ، مَحْبُوكٌ مُحَمْلَجٌ) عليه.

ذكر الغلام في وصف الثلاثة أفراس صفات لا يغني بعضها عن بعض، تكاثرت تكاثر المعاني التي تدل عليها وتؤول إليها، وكان الغريب وسيلة للتمييز بين أشكالها المختلفة، والتعبير عن قوتها ونشاطها، والجليل من خَلْقها وأفعالها، فالفرس هي الشخصية المحورية في وصف (بيت سيد الحواء) الذي لجأ إليه الرجل، وكأنها معادل موضوعي له، فعيش الغلام في الصحراء المقفرة الموحشة جعلته يرى في الفرس بيتا؛ لمدافعتها عن البيت وأهله، فهي رمز تطوي رمزا آخر، ترمز إلى سيّد حواء مغوار باسل لم يفصح عنه الغلام.

والكلام عن الغريب غريب، فالسائل سأل عن سيد الحواء، وهو طبعي، فطلب الجوار يكون من الرجل، ولكن العجيب أن الغلام خصص ذكور الأفراس بالوصف (ثلاثة أفراس) فأنث العدد، والفرس في الأصل للأنثى، ويعم الذكر والأنثى، والفحل حصان، والوجه في ذكورة الفرس الجهاد وحماية الديار، أما الأنوثة فلجماله ﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗ﴾ [النحل: ٨] .

(١) ينظر (أحاديث الفلاة)، و(عزيف الجنان وتغوّل الغيلان). الحيوان. عمرو بن بحر الجاحظ، ٤٤٥/٦، وما بعدها، ط٢، دار الكتب العلمية ١٤٢٤ هـ .

## الخاتمة

ٱلحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَٰلَمِينَ ٱلرَّحمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَومِ ٱلدِّينِ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،،،،

**وبعد**

فقد قدر لهذا البحث أن يتوقف عند هذا الحد، ولا يمكن القول إن البحث في الغريب والمثاقفة والمناقدة في علل وروده وصفا قد انتهت أو اكتملت، ولكن هذا ما أمكن البحث أن يقدمه، ويأمل أن يكون قد كشف مجهولا، أو أبان عن خفي، أو صحح رؤية عن الغريب، وهي رؤية اجتهادية ترجو أن تثير تساؤلا يثري هذا الموضوع، ويبسق فروعه.

وقد جاءت الدراسة معنونة بـ" بلاغة غريب الوصف في أمالي أبي علي القالي ت٣٥٦هـ" لتكشف عن الخصائص والمزايا التي اقتضت أن يكثر الغريب في مقام الوصف، وانتهت إلى الآتي:

- الوصف غرض من أغراض القول، ذاتي، لا يخضع لمعايير موضوعية محددة، ولم يأت ترفا لغويا ولكنه تعبير عن الإنسانية والحياة، ورد في نماذخ منتقاة، اختيرت بوعي وقصدية، تصور حقائق، وتحل مشكلات، وتنفس عن انفعالات، يضفي الواصف على ما يصف من شعوره وانفعالاته ورؤيته الذاتية وعقله ووجدانه وثقافته وميوله وخبراته ما يبرز مقدرته على المحاكاة والإبداع، فهو قطعة منه؛ ولذلك يتلون تبعا للحال النفسي لقائله.
- دراسة الغريب غريبة؛ لأنها تحاول الكشف والتنقيب وكشف الغطاء عن محجوب مقنع خفي، ليس داخل عقل الواصف ووجدانه فقط، ولكن داخل اللغة نفسها، وتفتح صندوق أسراره؛ ولذا كانت عناية بعض العلماء بحفظ الغريب وتدوينه في كل مجالات العلوم.

- أبعد الغريب الوصف عن البهتان والبرود، والملل والسكون، وأثار حيوية وتوهجا، ومتعة البحث والكشف.
- بحث الغريب شاق ومضن، فلا شيء أكثر مراوغة من البحث عنه، كثرت الصدوع داخل البنى الوصفية بسببه، وبرزت فجوات تحتاج تفسيرا وسعيا وراءها في متاهات دواوين الشعر ومعاجم اللغة، ورجوعا إلى كتب أسماء الحيوان وصفاته؛ للتعرف على معاني الغريب في سياق بعينه، وهذا قد يكون حاجزا دون الوصول إلى المعاني والانفعال بها وتذوقها، كما أنه يتطلب معرفة واسعة بأسماء الحيوان وصفاتها في الجاهلية، وقد يضع عوائق في عملية التلقي أو حدودا معرفية وحواجز بين الماضي والحاضر.
- يأتي الغريب لتكثير الصفة، والمبالغة فيها مدحا، وقد يأتي لستر المقصود لكونه لا يصح التصريح به، فهو تعويض عما لم تبن عنه كلم اللغة، ولم يفصح عنه الوصف، وقد يحذف المسند إليه (الموصوف) فتتبهم الصفة وتغرب، والحذف يؤجج ما في الغريب من غموض وستر، فيسيطر على جو الوصف فلا يتبدى معه غيره، فتتلاشى الذوات أمام الصفات.
- الغريب طريقه الإيجاز، فالمفردة الغريبة تكتنز داخلها أوصافا عدة وكلاما كثيرا، ولها من الشد والجذب والتعلق، والإبهار والاستحسان والظرف ما ليس للمألوف من أفراد الكلم، فدلالاتها لا تنكشف إلا لأهل اللغة الأفذاذ، البحاثة عن كل طريف، الحفظة لكل ما هو غريب نادر.
- لم يمكن الغريب مشاعر الواصف وانفعالاته أن تتبدى في صورة جلية شفيفة، ولكنه أثار جوا من التشويق والمفاجأة لمعرفة المكنون وراء الغريب.
- الغريب وصف للمفردة أو المعنى المتخيل ولا يوصف به الأسلوب، والخصائص المميزة للغته ربما كانت أكثر أهمية من الموضوع والغرض الذي ورد فيه.

- الغريب رصيد مخزون لم يستهلك أو ينفق يقاوم التحليل والكشف والتفسير، وقد يكون مثيرا للسخرية، والشك والقلق وفقدان اليقين، والجهل، وقطع استمرارية التواصل بين النص والقارئ، والدارس للغرابة تنتابه حالة ازدواج تتأرجح بين الخفاء والإفصاح، الصمت والإبانة، الخيال والواقع، وكأن الغريب أصبح واقعا خياليا.
- ليس هناك ضابط يحدد الغريب رغم تحديد العلماء له بعنصر الزمن، فما كان غريبا عند عالم كـ(القالي) ت٣٥٦هـ كان معروفا متداولا في شعر الجاهلية وكلام الغلمان.
- تصوير الإنسان أو الشيء بالصفات الغريبة لخلق صورة ذات تأثير غريب يثير في النفس التقدير، والتساؤل الصامت الذي قد يخشى الفرد أن يفصح عن جهله به توقيا للمعايرة والاتهام بالجهل، فيحاول جاهدا مواراة سوءة جهله بالصمت المتسائل الصاخب في أعماق نفسه وأفكار عقله.
- يتميز الغريب بالضبابية والإبهام، وإثارة التخييلات، فله حدود خاصة غير محددة على نحو واضح، ورغم ذلك فهناك متعة للتخلص من مشاعر الخوف والقلق والجهل بالكشف عنه.
- معظم المفردات الغريبة التي وردت في الوصف من العصر الجاهلي، ففي وصف (البيت) مثلا لم تسعفنا المصادر بصورة مرئية لصفة البيوت، وما جاء في الشعر مرويا أو مكتوبا يصور أطلالا ونؤي وخيام، وبيوت وبر، فلم يتبين أكانت البيوت من الجلود والأدم والشَّعْر أم من الحجارة؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتبته:

شيماء عبد الرحيم توفيق

## ثبت المصادر والمراجع


١- أدب الكاتب.أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة. د. ت.

٢- أدب النساء الموسوم بكتاب العناية والنهاية. أبو مروان عبد الملك بن حَبِيب بن حبيب الإلبيري القرطبي، تح: عبد المجيد تركي، ط١، دار الغرب الإسلامي١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٣- الأمالي. أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدى، ط١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن – الهند ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨م.

٤- الأمالي. أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي، ط٣، دار الكتب المصرية ٢٠٠٠م.

٥- أوهام شعراء العرب في المعاني.أحمد تيمور باشا، مؤسسة هنداوي ٢٠١٥م.

٦- البرهان في علوم القرآن. محمد بن عبد الله الزركشي، تح: أبو الفضل الدمياطي، ص ٥٧٠، دار الحديث. القاهرة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م

٧- بيان إعجاز القرآن. مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، ط٥، ذخائر العرب(١٦)، دار المعارف٢٠٠٨م.

٨- البيان والتبيين. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، ط١، مكتبة ابن سينا ٢٠١٠م.

٩- تفسير مجاهد. أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، تح: د. محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

١٠- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام. أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تح: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.د. ت.

١١- الجيم. أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني، تح: إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
١٢- الحيوان. عمرو بن بحر الجاحظ، ط٢، دار الكتب العلمية ١٤٢٤ هـ .
١٣- الخيل. أبو عبيدة معمر بن المثنى، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن. الهند ١٣٥٨هـ .
١٤- دلائل الإعجاز.عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود شاكر، ط٣، مطبعة المدني بالقاهرة،١٤١٣هـ . ١٩٩٢م.
١٥- ديوان امرِئ القيس. امْرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ط٢، دار المعرفة - بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
١٦- ديوان البحتري، تح: حسن كامل الصيرفي، ط٣، دار المعارف. د. ت.
١٧- ديوان بشار. تح: الطاهر ابن عاشور، وزارة الثقافة ٢٠٠٧م:
١٨- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تح: د. نعمان محمد أمين طه، ط٣، دار المعارف . مصر. د. ت.
١٩- ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب. أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، تح: عبد القدوس أبو صالح، ط١، مؤسسة الإيمان. جدة١٤٠٢هـ -١٩٨٢ م،
٢٠- ديوان طرفة بن العبد. أبو عمرو طرفة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري، تح: مهدي محمد ناصر الدين، ط٣، دار الكتب العلمية،١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٢١- ديوان المعاني. أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار الجيل. بيروت. د. ت.

٢٢- رسائل الجاحظ. أبو عثمان عمرو بن بحر بالجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
٢٣- الشاء. أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي، تح: د. صبيح التميمي، ط١، دار أسامة - لبنان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٤- شرح المفصل. أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، تقديم: د.إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م.
٢٥- الطبقات الكبرى. أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع، تح: د. علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٢٦- الغرابة المفهوم وتجلياته في الأدب. د. شاكر عبد الحميد، عالم المعرفة، العدد٣٨٤، صفر ١٤٣٣هـ - يناير ٢٠١٢م.
٢٧- الفروق اللغوية. أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة. د. ت.
٢٨- قراءة الشعر. د. محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر. القاهرة. د. ت.
٢٩- الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر العربي. القاهرة١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٣٠- كتاب الصناعتين. أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ١٤٢٥هـ. ٢٠٠٤م.
٣١- لسان العرب. ابن منظور. تح: عبدالله الكبير، ومحمد أحمد حسب، دار المعارف. د.ت.
٣٢- المزهر في علوم اللغة وأنواعها. أبي بكر عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، تح: فؤاد علي منصور، ط١، دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٣- مسند الإمام الشافعي. أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس، رتبه: أبو سعيد سنجر بن عبد الله الجاولي، تح: ماهر ياسين فحل، ط١، شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٤- المفضليات. المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، تح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، ط٦، دار المعارف – القاهرة. د. ت.
٣٥- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م.
٣٦- مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر. د. ت.
٣٧- المقصور والممدود. أبو علي القالي إسماعيل ابن القاسم، تح: د. أحمد عبد المجيد هريدي، ط١، مكتبة الخانجي ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٣٨- المنتخب من غريب كلام العرب. أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، تح: د محمد بن أحمد العمري، ط١، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي. جامعة أم القرى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٣٩- منهاج البلغاء وسراج الأدباء. حازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط٣، دار الغرب الإسلامي. بيروت١٩٨٦م.
٤٠- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تح: السيد أحمد صقر، ط٤، دار المعارف. د. ت.
٤١- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح: د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٤٢- الوساطة بين المتنبي وخصومه. للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية صيدا. بيروت١٤٣١هـ -٢٠١٠م.

## فهرس الموضوعات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| ملخص باللغة العربية | ١٤٥٩ |
| ملخص باللغة الانجليزية | ١٤٦٠ |
| مقدمة | ١٤٦٣ |
| تمهيد | ١٤٦٦ |
| -اقتضاء الموصوف الصفة- | ١٤٧٩ |
| المبحث الأول: وصف الزوج | ١٤٧٩ |
| المبحث الثاني: وصف النساء | ١٤٨٩ |
| المبحث الثالث: وصف الأبناء | ١٤٩١ |
| المبحث الرابع: وصف العنز | ١٤٩٨ |
| المبحث الخامس: وصف الفرس | ١٥٠٠ |
| المبحث السادس: وصف البيت | ١٥٠٦ |
| الخاتمة | ١٥١٥ |
| ثبت المصادر والمراجع | ١٥١٨ |
| فهرس الموضوعات | ١٥٢٢ |